الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: 22085087240

رقم التسجيل ط2: 22044099723

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث 1830/1519

بعنوان:

منطقة معسكر خلال العهد العثماني (1519-1830)

إعداد الطالبين:

عبد العالي زروخي

قرساس عبد الحق

إشراف:

أ.د/ كمال بيرم

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	مصطفى عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
2	كمال بيرم	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	فاروق جياب	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1443/1444هـ-2023/2024م

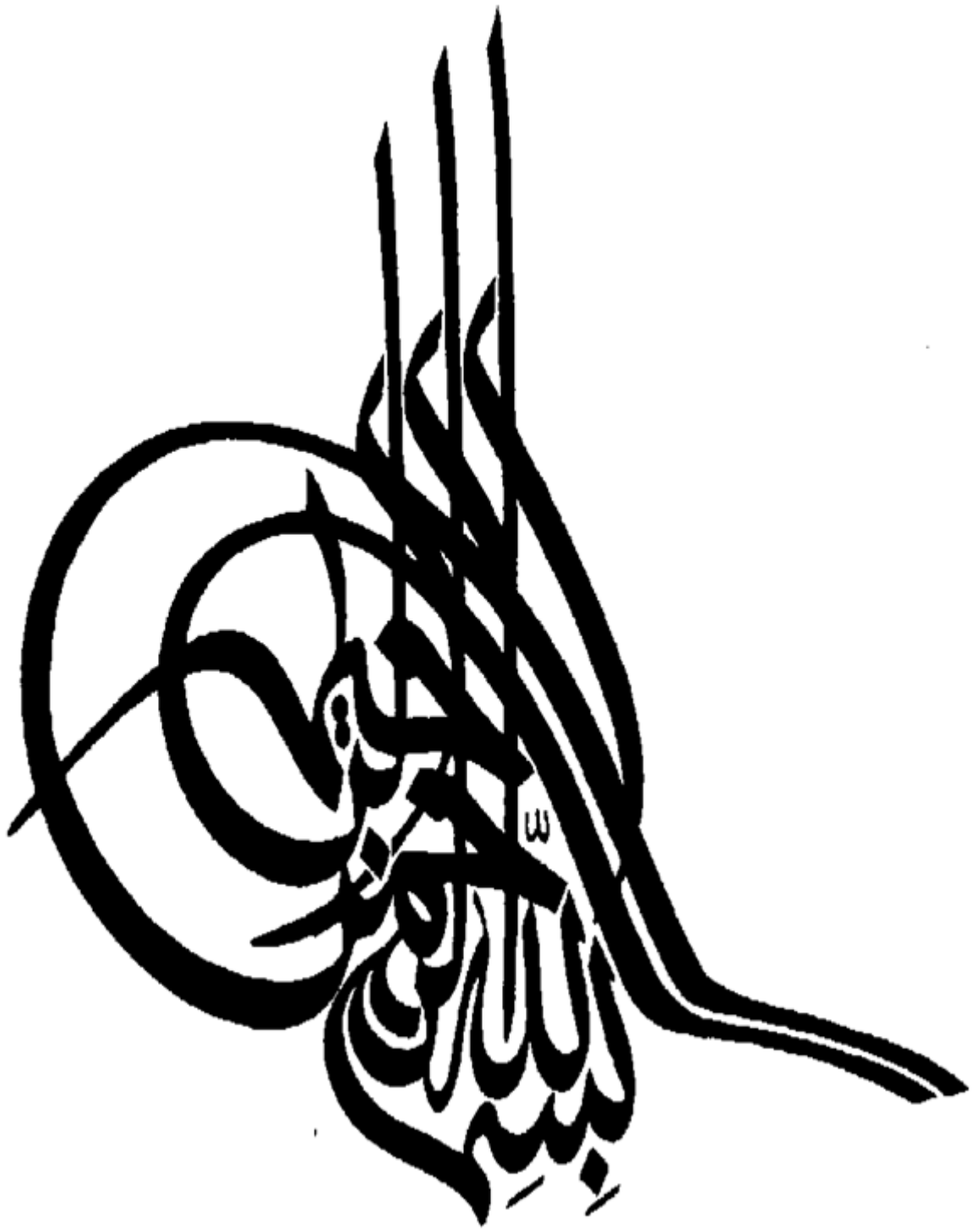

** شكر وتقدير **

قال الله تعالى:﴿لَئِنْ شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم﴾ سورة إبراهيم الآية –07–

أولا وقبل كل شيء نشكر الله عز وجل الذي أعطانا القدرة لإنجاز هذا العمل "فلك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ".

وبكل عبارات التقدير والاحترام، وبكل كلمات الشكر والامتنان نتقدم بتحياتنا الخالصة إلى المشرف الأستاذ الدكتور: "بيرم كمال" على المساعدة الكبيرة التي قدمها، وتوجيهه الصائب ومراقبته الدائمة لنا لكل خطوة من خطوات إنجاز هذا العمل،

فشكرا جزيلا لك

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة

وإلى كل من ساعدنا ولو بالكلمة الطيبة من قريب أو من بعيد

فإليكم جميعا: شكرا.. ووفاءا.. ودعاءا موصولا لكم.

قائمة المختصرات:

د ط: دون طبعة

د. ب: دون مكان طبع

د. ت: دون تاريخ

ج: الجزء

ط: الطبعة

تر: ترجمة

تص: تصوير

تصد: تصدير

تع: تعريب

ص: صفحة

هـ: هجري

م: ميلادي

P: page

مقدمة

مقدمة:

شهد بايلك الغرب أحداثا هامة على كافة المستويات، حيث أنه لم يستقر على عاصمة دائمة، فكانت أول عاصمة للبايلك مازونة 1563م ثم معسكر عام 1701م، ليستقر أخيرا على وهران كعاصمة له بعد تحريرها من الإسبان سنة 1792م، كما عانت مدن بايلك الغرب من ويلات الاحتلال الإسباني بحيث أقبلت بعض القبائل على التعاون مع الإسبان، مما جعل البايلك يعيش تجاذبا قويا باعتباره نقطة احتكاك بين الإيالة والإسبان، وأدى هذا التجاذب إلى قيام تحالف بين السلطة العثمانية وكثيرا من القبائل من أجل تحرير وهران، كما كان لها تأثير بارز على الحياة الفكرية والثقافية.

إن الباحث في تاريخ منطقة معسكر يجد أن لها مكانة هامة في تاريخ الجزائر خاصة أثناء الوجود العثماني، هذه المكانة لم تأت من فراغ أو صدفة، وإنما بفضل تضافر جملة من العوامل، لعل أهمها العامل الجغرافي نظرا لموقع المدينة في الإقليم التلي بسهل غريس الخصيب، وتوفرها على كامل شروط الحياة، إضافة إلى تواجدها في الداخل كمدينة بعيدة نوعا ما عن البحر، كل ذلك أبعد عنها الغزوات الأوربية التي تعرضت لها المدن الساحلية الأخرى كمدينة وهران، وهو ما جعلها ملاذا آمنا لعدد كبير من الفارين من الحملات الأوربية وحتى الأندلسيين.

حيث كانت معسكر خلال العهد العثماني مسرحا لوقائع اجتماعية وأحداث سياسية بارزة شكلت جزءا هاما من تاريخ بايلك الغرب أثناء التواجد العثماني، خاصة في ظل التواجد الإسباني بوهران، هذا ما أثر على معظم الأوضاع بمنطقة معسكر سواء في الجوانب السياسية والاقتصادية أو الثقافية وحتى الاجتماعية،

وبناءا على ذلك انصب موضوع دراستنا على أوضاع منطقة معسكر خلال العهد العثماني.

دوافع اختيار الموضوع:

كانت هناك عدة دوافع كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع أهمها:

- الميول الشخصي لدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني خاصة بايلك الغرب لما له من مكانة وما تميز به من أحداث.

- أغلب الدراسات البحوث تناولت بالدراسة بايلك الغرب ممثلا في مدينة وهران لذا أردنا إلقاء الضوء على مدينة معسكر التي كانت عاصمة للبايلك قبل أن يستقر بمدينة وهران.

- محاولة معرفة أوضاع منطقة معسكر خلال الفترة العثمانية على كل المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

- إثراء المكتبة الجامعية بدراسة قد تكون حجر أساس لدراسات لاحقة حول الموضوع بمزيد من التوسع.

طرح الإشكال:

كيف كانت أوضاع منطقة معسكر خلال العهد العثماني؟

وقد نتج عن هذا الإشكال تساؤلات فرعية هي:

- كيف كانت أوضاع مدينة معسكر السياسية والثقافية خلال العهد العثماني؟

-ما هي أوضاع مدينة معسكر الاقتصادية والاجتماعية خلال العهد العثماني؟

الدراسات السابقة:

إن ندرة الدراسات الجزائرية المهتمة بالموضوع جعلنا نلجأ إلى الدراسات الخاصة بالنشاط الاقتصادي بصفة عامة، من بين أهم الكتابات التي تطرقت لموضوع النشاط التجاري نذكر:

- بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م -1797م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002

- علي بن عيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008-2009

المنهج المتبع:

أما عن المنهج الذي اعتمدته في دراسة هذا الموضوع هو المنهجين التاريخي من خلال عرض بعض الأحداث التاريخية التي تضمنها الموضوع، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي وذلك من خلال استخلاص الحقائق التاريخية بعد عرضها.

هيكل الدراسة:

عالجت هذا الموضوع وفق خطة تتكون من مقدمة، فصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

الفصل التمهيدي: مدخل جغرافي تاريخي لمدينة معسكر.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والثقافية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى الأوضاع السياسية، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى الأوضاع الثقافية.

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني، وقد قسمناه إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول الأوضاع الاقتصادية لمدينة معسكر، أما في المبحث الثاني فتطرقنا إلى الأوضاع الاجتماعية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني.

وختمت الدراسة بخاتمة كانت عبارة عن حوصلة لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

أهم المصادر والمراجع:

-المصادر:

أنجزنا هذا البحث اعتمادا على المصادر التالية:

- هاينريش فون ملستان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008

- وليام شالر، مذكرات وليام شالر، تعريب وتقديم وتحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

– ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهـدي البوعبدلي، ط1، مطبعة البعث الجزائر، 1973

– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975

المراجع:

– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ج1، الشركة الوطنية للنشـر والتوزيع، الجزائر، 1981

– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976

– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985

– يحي بوعزيز، وهران عبر التاريخ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1985

الصعوبات:

من المؤكد أن الصعوبات تواجه أي دارس في بحثه، من الصعوبات التي واجهتنا:

– صعوبة الحصول على الكتب المتعلقة بالموضوع والتي كانت أغلبها في المواقع غير المجانية.

– صعوبة الحصول على المعلومات كون أن أغلب الكتابات التي تناولت بايلك الغرب عبارة عن مصادر يصعب البحث فيها.

– قلة المراجع المتخصصة الخاصة بمدينة معسكر.

– بعض المصادر باللغة الأجنبية مما صعب علينا عملية الترجمة.

– حاولنا قدر المستطاع التغلب على الصعوبات من أجل تقديم عملا مقبول ومتكامل

الفصل التمهيدي:

مدخل جغرافي وتاريخي لمدينة معسكر

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لمدينة معسكر

المبحث الثاني: أصل التسمية لمدينة معسكر

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لمدينة معسكر

إن الإطار الجغرافي لمدينة معسكر يقع ضمن الإقليم الشمالي الغربي للجزائر، على السفوح الجنوبية القريبة من سهل غريس الخصب بالقسم الغربي لجبال بني شقران، حيث تمثل الأراضي التي تضم هضبة مامونية وسهل غريس المنخفض، حتى حدود المناطق المحاذية لجبال سعيدة جنوبا، والتي هي جزء من الأطلس التلي، ترتفع مدينة معسكر عن سطح البحر بحوالي 585 مترا، بها عدة أودية ذات أهمية كبيرة مثل وادي تودمان، ووادي عين السلطان، هذا الأخير الذي هو الممون الرئيسي للمدينة بالماء الشروب[1].

تبعد مدينة معسكر مدينة وهران بالجنوب الغربي بحوالي 98 كيلومتر، وعن مدينة سعيدة جنوبا بنحو 76 كيلومتر، ويفصلها عن مدينة أرزيو نحو 105 كيلومتر[2].

تتميز مدينة معسكر بمناخها شبه قاري، فهي ذات مناخ متذبذب السقوط للأمطار والتي يقدر متوسط تساقطها أكثر من 500 ميليمتر سنويا، في حين أن المناطق المرتفعة يصل مستوى تساقط الأمطار بها إلى نحو 800 ميليمتر سنويا وقد ترتفع وتنخفض من سنة لأخرى[3].

تعتبر مدينة معسكر أو ما يطلق عليها منطقة الراشدية في العصر الوسيط من أقدم المناطق التي استقر بها الإنسان وعمرها وذلك منذ ما قبل التاريخ، وهذا بدليل ما تم العثور عليه من بقايا عظام إنسان ما قبل التاريخ في منطقة تغنيف أو ما اشتهر بإنسان تغنيف والذي يعد أقدم إنسان في شمال إفريقيا[4].

أما معسكر فكانت موجودة خلال الفترة الرومانية القديمة، حيث وجدت بها حصون مثل (الليسات) أو ما يطلق عليها اسم كسترونوفا بمعنى المعسكر الجديد[5]، وفي العهد العثماني

---

[1]– علي بن عيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008–2009، ص 20

[2]– عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص 08.

[3]– المرجع نفسه، ص 05.

[4]– مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن التاريخية، مدن الغرب، ط2، دار الحكمة، الجزائر، د ت، ج4، ص 210

[5]– علي بن عيفاوي، المرجع السابق، ص 28.

مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي كانت مدينة معسكر تقع ضمن مناطق نفوذ الدولة الزيانية، وتمثل أهم مدن إقليم بني راشد أي كان يقيم خليفة سلطان الزياني مع فرسانه[1].

المبحث الثاني: أصل التسمية لمدينة معسكر

إن التسمية الأولى لمدينة معسكر يسوده وهذا لعدم وجود أدلة قاطعة تشير إلى ذلك، إلا أن بعض الرحالة والمؤرخين والأثريين من أمثال "شاو *SHAW*"[2]، و"هاينريش فون ملستان[3] يذكرون أنها بنيت على أنقاض المدينة الرومانية القديمة "فيكتوريا *VICTORIA*"،[4] وفي هذا الصدد يقول هاينريش: "تحتل مدينة معسكر فيما يذهب إليه أغلب الأثريين، مكان المدينة الرومانية القديمة فيكتوريا، ولم أستطع أن أكتشف هنا أي أثر ..."، ثم يواصل حديثه بتقديم معلومات مهمة في قوله: "... ويعتبر بطليموس الجغرافي الوحيد الذي ذكر فيكتوريا، ومن المرجح أنّ المدينة قد هدمها أهالي البلاد، عند سقوط الإمبراطورية الرومانية، فاسمها لم يرد ذكره فيما بعد، ولم يكن في معسكر ما يستحق المشاهدة[5] .

وتشير بعض الدراسات التاريخية أن مدينة معسكر كانت تسمى قديما "كاسترانوفا *CASTRA NOVA*"، أي القلعة أو المعسكر الجديد"، وهو اسم لاتيني روماني[6]، لكن عند البحث في الخرائط القديمة نجد أن هذه التسمية غير صحيحة، وذلك بالنظر إلى موقع هذه

---

[1]– سعيدوني ناصر الدين: راسات وأبحاث في تاريخ الجزائر–العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص111

[2] –Shaw (Thomas.): Voyage dans la Régence d'Alger, trad. De l'Anglais par Mac Carthy, Paris, 1830, p250

[3]– هاينريش فون ملستان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج2، ص76

[4]– فيكتوريا: هو اسم آلهة النصر عند الرومان، وقد عُثر على نقيشة إهدائية على مذبح آلهة النصر فيكتوريا بالموقع الأثري الموجود بمنطقة "بنيان". يُنظر: فاضل لخضر: مدينة بنيان عبر العصور القديمة، ملتقى مدينة معسكر المنطقة والرجال، 06 ماي 2005 مديرية الثقافة، معسكر، ص22

[5]– هاينريش فون ملستان: المرجع السابق، ص 76

[6]– بن داهة عدة: المرجع السابق، ص48

القلعة البعيدة كل البعد عن الموقع الحالي لمدينة معسكر، والقريب من مدينة "المحمدية" وهي إحدى الدوائر الإدارية المكونة لولاية معسكر، ويذكر كذلك أن مدينة معسكر هي نفس المدينة التي يسميها بطليموس "قيلبورك"[1]، لكننا لم نجد ما يثبت هذه المعلومة، وفي الفترة الإسلامية كانت تطلق عليها تسمية "المُعَسْكَر" حسب وصف الإدريسي والحسن الوزان[2]، وكذلك "أم عسكر" حسب أبي راس الناصري، ومنها جاءت التسمية المعروفة "مُعَسْكَر" التي تعني المكان الذي يعسكر فيه الجنود[3]، وهي التسمية التي اشتهرت بها بعد ذلك ومازالت متداولة إلى غاية اليوم.

يمكن القول من خلال ما تم ذكره أن الموقع الجغرافي لمدينة معسكر كان له دور واضح وجلي في تأسيسها، نظرا لمميزاته وخصائصه الجغرافية التي تتوافق مع شروط تأسيس المدن التي وضعها علماء العمران والجغرافيا، فمناخها المعتدل ومائها العذب وتربتها الصالحة للزراعة ، جعلت منها مدينة مفضلة لسهولة العيش ووفرة متطلبات الحياة، ولعل ما يثبت ذلك هو توافد الناس إليها واستقرارهم فيها وفي فحوصها ، فوسطية موقعها بين التل والصحراء وقربه من الطرق التجارية الرئيسية والمدن الكبرى كمدينة تلمسان، جعلت منها كوجهة مفضلة للراحة والاستقرار وممارسة التجارة وطلب العلم، وهذا دليل كاف لتبرير بقائها وازدهار عمرانها وعدم خرابها.

---

[1]– مارمول كار بخال إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1984، ص324.

[2]– الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ط2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ج2، ص26

[3]– أبو راس محمد الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990، ص20

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية والثقافية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

يختلف بايلك الغرب الجزائري (معسكر) على باقي البياليك الأخرى بالإيالة الجزائرية، وهذا كون هذا البايلك أرض جهاد دائم لمدة أكثر من قرنين، إذ عرف بايلك الغرب عدة صراعات وحروب تمثلت في خطر الإسبان المحتلين لوهران وبين تمرد القبائل على السلطة العثمانية، أو المتحالفة مع الإسبان، لذا كان النظام السياسي للمنطقة نظاما عسكريا أكثر منه سياسيا، نظرا لحساسية الفترة، وتنوع العدو المتربص بالعثمانيين[1].

ففي سنة 1517م مر خير الدين بربروس بقلعة بني راشد، الواقع بالقرب من معسكر، استقبله سكانها بالترحيب والحفاوة، فاغتنم هذه الفرصة وجعل منها مركزا لتأمين اتصالاته وتنقلاته في المنطقة، واستخدمها لقطع الطريق أمام الإسبان في جمع معلومات عنها كمركز هام للتموين، لذا استخلف فيها أخاه إسحاق في حامية عسكرية، بلغ عدد جنودها حوالي 300 جندي إنكشاري، بينما واصل عروج طريقه إلى تلمسان، لمواجهة أبي حمو الثالث.[2]

يعتبر موقع قلعة بني راشد موقعا ذو أهمية استراتيجية كما عرفت كونها من أغنى الأقاليم المعروفة في الجزائر، وهذا بسبب إنتاجها الوفير من الحبوب، حيث الإسبان في فترة احتلالهم المدينة وهران يتزودون بالمؤونة لجيوشهم من القلعة، وهو ما جعلها عرضة في كثير من الأحيان لمحاولات احتلالها، إلا أن عروج استمات في الدفاع عنها خلال احتلالها من قبل الإسبان، خاصة بعد سيطرته على مدينة تلمسان سنة 1517م[3]، ولما تمكن عروج من مملكة تلمسان منع أهل القلعة من إمداد الإسبان بما كانوا يمدونهم به من أقوات متنوعة، فضاقت أحوال الإسبان بسبب ذلك، وقد اغتنم سلطان تلمسان هذه الحالة، وبعث إلى الإسبان قائلا لهم: انظروا ما حل بكم حين انقطعت دولتنا عنكم، وتمكنت منها الأتراك كيف قطعوا عنكم الميرة في القلعة وغيرها، فلو كنتم أعنتموني على قتال عروج، وأمددتموني بالمال

---

[1] −Louis Rinn, op.cit, p 137

[2] −Ernest Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale, (BERBERIE), t3, librairie Ernest Leroux, Paris 1891, pp: 19-20

[3] −Sander Rang: Fondation de la Régence d'Alger, 2t, J. Angé Editeur, Paris, 1837, p 97.

والرجال، ما صار أمركم إلى هذا، فانظروا الآن في هذا الأمر وتداركوا الحال هذا قبل أن يمتد طمع هذا الرجل إلى أخذ المدينة من أيديكم[1].

لما سمع خير الدين بذلك، وجه جيشا إلى قلعة بني راشد، وأمر عليهم أخاه إسحاق فلما وصلوا إلى القلعة وجدوا بها جيشا من نصارى وهران يحاولون أخذها، وهناك اقتتلت الطائفين وكان النصر حليف المسلمين، وقتل حوالي 700 من النصارى، وأسر 300 منهم، ودخل المسلمون القلعة[2].

بعد دخول عروج إلى قلعة المشور اعتقل أبا زيان وقام بشنقه في رواق القصر، وكان لأبنائه نفس المصير حيث كبلهم بالأغلال مع والدهم ولم يكتف بذلك، بل حاول قتل أفراد العائلة الزيانية في تلمسان، حيث اعتقل سبعين فردا منهم ورماهم في الحوض الكبير للمدينة، وقد كان لهذه المجزرة وقع كبير على السكان[3].

وفي سنة 1563م استخلف البايلرباي حسن بن خير الدين الباي بوخديجة على بايلك الغرب ومعه 1600 جندي، أين أقام بمدينة مازونة في شمال الشلف في جبال الظهرة، وقد كان متيقنا من عدم مجيء الإسبان في طلبه، وكان الباي على استعداد لتقديم المساعدة لمستغانم وقلعة بني راشد، ومد يد المساعدة لنوبة تلمسان[4].

وفي سنة 1565م تأسس بايلك الغرب وتولى حكمه إثنان من البايات، أحدهما استقر بمدينة مازونة، والأخر بمدينة تلمسان، وفي عام 1706 تم توحيد القسمين، وأصبح يعين عليه باي واحد قمره بقلعة بني راشد، ثم مدينة معسكر، ثم مدينة وهران بين 1708-1732 وبعد احتلال الإسبان لها انتقل مقر حكم بايلك الغرب إلى مدينة مستغانم لمدة خمس سنوات

---

[1]- محمد بن محمد بن عبد الجيلاني بن رقية التلمساني الجديري الزهرة، مصدر سابق، ص 08

[2]- المصدر نفسه، ص 9

[3]- عدة بن داهة، مرجع سابق، ص 51

[4]- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ج2 نشر كلية الآداب جامعة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة 1965، ص 79

ما بين 1732–1737 ليصبح بمدينة معسكر مرة أخرى إلى أن تم تحرير مدينة وهران من أيدي الإسبان سنة 1792 على يد محمد بن عثمان الكبير[1].

لكن الأغا بن عودة المزاري أشار خلال ذكره لبايليك الغرب الوهراني وعواصمه وباياته أن توحيد القسمين: مدينة مازونة ومدينة تلمسان سنة 1686 وأصبح مقر حكم بايلك الغرب قلعة بني راشد ثم تحول إلى مدينة معسكر[2]، وتم اختيار هذه الأخيرة لإقامة الباي بها، وهذا من أجل تهديد الوجود الإسباني بمدينة وهران بطريقة مباشرة، مع العلم أن هذه المدينة قد تم طرد الإسبان منها مرتين[3].

وبدأ شأن مدينة معسكر يزداد منذ أن شرع الباي مصطفى بوشلاغم في محاصرته لمدينة وهران المحتلة من قبل الإسبان، وهذا سنة 1706م، أثناء حكم الداي محمد بكداش، والذي أرسل جيشا لفتح وهران دعما لجهود الباي، وهذا بعد اتفاق بينهما، الأمر الذي سمح بتحسن الوضع السياسي بينهما، وكانت معسكر تحت حكم باي نشيط وطموح، والذي كان يتحين الفرص ونقاط ضعف الإسبان، وكذا إعادة الكرة على وهران، وتضييق الخناق عليها بمحاصرتها حصارا محكما يوما بعد يوم. بينما كان الحاكم العام الإسباني يحاول جمع الضرائب من الأهالي التابعين له من "مغاربة السلام" كما يسمون لدى إسبان وهران ولما عجز السكان عن الدفع أخذ منهم 250 فردا أسرى مقابل ذلك[4].

وخلال تلك الظروف قام حسين خوجة داي الجزائر، بعد ثورة اليولداش عليه، بإنزال جيوشه على المدينة، خاصة بعد أن تراجعت مداخيل بايلك الغرب المخصصة لخزينة الدولة من مختلف الموارد، رغم الموارد المتأتية للدولة من مختلف الأمم الأوربية كإتاوات مفروضة على أساطيلها في البحر المتوسط، وقد سعى داي الجزائر حسين خوجة لفتح وهران سعيا

---

[1]– يحي بوعزيز، وهران عبر التاريخ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1985، ص 76.

[2]– بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخازنها الأسود، مخطوط، متحف زبانة، وهران ص 208

[3]– يحي بوعزيز، وهران، المرجع السابق، ص 77.

[4]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976، ص 464–465

محمودا، واعترض سبيله أربعة يولداش ومحمد بكداش الذي أصبح في مكانه على هرم السلطة في 4 مارس 1707م، وأول ما قام به كان إرساله الداي المخلوع إلى بايلك الشرق مع كامل أفراد أسرته والخزندار، وقد وقع هذا الداي الجديد ضحية انتقام الداي السابق الذي كان قد نفاه إلى طرابلس الغرب، والذي عاد من منفاه بغية الثأر[1].

كان الباي بمعسكر يمثل أعلى السلطة في البايلك، ويعين من قبل داي الجزائر، وكان الباي يعتمد على عناصر الجيش التي جعلت تحت تصرفه من قبل الداي لتسيير البايلك، والقضاء على التمردات، وحركات العصيان، وتعد جباية الضرائب بكل أنواعها لصالح البايلك من المهام الأساسية المنوطة بالباي، وتعظم مكانته عند الداي على حسب قيمة تلك الضرائب، دون إهمال مهامه الأخرى في الجانب الاقتصادي والأمني.

ويوجد تحت قيادة الباي بمعسكر خمسة عشر جنديا يعرفون بالمكاحلية (حاملي البنادق)، ومهمتهم حماية الخزينة الخاصة بالباي، بمساعدة مجموعة من الجنود، برتبة شاوش في حراسة خيمة قايد الظليلة .أما الذي كان مكلفا بحمل المظلة الشمسية للباي، فهو خليفة قايد المكاحلية، وعدد الشواش خمسة عشر شاوشا، منهم خمسة عثمانيي السفرة، والبقية من القبائل، أبرزهم هم: شاوش الدواير وشاوش الزمالة، وشاوش الغرابة، وشاوش الحشم، وشاوش البرجية، والخمسة الباقون هم خلفاء لهم، ويقومون بالمناوبة معهم[2].

ولم يقتصر دور مدينة معسكر السياسي على تقديم يد المساعدة والعون لمدينة الجزائر ضد الاعتداءات الإسبانية فحسب، بل تعداها إلى ترسيم الحدود السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى، حيث أجبر بايات معسكر سلاطين المغرب على التراجع إلى مدينة وجدة ورسم الحدود بينهما، وبذلك وضعوا حدا فاصلا لتوسعاتهم شرقا على حساب بايلك الغرب.

---

[1]– أبو زيد عبد الرحمن الجامعي: فتح مدينة وهران، نشر مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003، ص.23–22

[2]- Esterhazy Walsin, Notice historique sur le Maghzen D'oran, Typographie de Perrier, Oran 1849

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية

كما وجدت مدارس ومعاهد كان لها الدور الريادي في مجال نشر الفكر والثقافة بمعسكر استقطبت حولها عددا كبيرا من طلبة العلم والمعرفة تمثلت أساسا في المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات وفيما يلي ذكر لأهم المؤسسات الثقافية بمدينة معسكر:

أولا: المساجد:

كثيرا ما يتم الخلط من قبل الباحثين والمؤرخين ويختلط عليهم اسم الجامع والمسجد[1] والزاوية، وهذا راجع لأن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة، كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة، وهذا التداخل ليس في الاسم فقط بل يمتد إلى الوظيفة، فالجوامع والمساجد والزوايا بمدينة معسكر كلها كانت مخصصة للعبادة والتعليم من جهة، كما كانت رباطا وملجأ ومسكنا للطلبة والعلماء من جهة ثانية[2]، فطبيعة المجتمع المعسكري المسلم أعطت عناية بالمساجد، إذ لا تكاد تخلو قرية من قرى مدينة معسكر من المساجد، ذلك أن المسجد كان ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية، وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله: "... فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب..."[3].

فالمعروف عن وظائف المساجد بمدينة معسكر خلال العهد العثماني تجلت في إقامة الرابطة بين أهل القرية والمدينة بها خاصة في بنائه وأداء الوظائف فيه، ذلك أن المجتمع الريفي بمعسكر لم يتأثر بالحركة الثقافية التي أحدثها الباي محمد الكبير، وفي هذا الصدد يقول حمدان خوجة: "بالرغم من تشييد الباي للمؤسسات الدينية والتعليمية، فإن المجتمع الريفي لم يتأثر بالحركة الثقافية التي أحدثها محمد الكبير، وإنما ظل أبناؤه مثل باقي أبناء

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 243.

[2]– المرجع نفسه، ص 243.

[3]– المرجع نفسه، ص 244.

المجتمع الريفي الجزائري عامة يتلقون قدرا من العلم في الزوايا، التي كان يديرها المرابطـون وشيوخ الطرق الصوفية...." [1].

لقد عمل العثمانيون على تكثير عدد المساجد والجوامع ذات الوظيفة الدينيـة والتعليمية والتربوية في مدينة معسكر، وذلك في إطار مشروعهم الحضاري الهادف إلى إصلاح التعليم والعناية بالمؤسسات التعليمية، حيث وكمثال على ذلك يذكر ابن سحنون الراشدي مجموعة المساجد التي أصلحها الباي محمد الكبير، والتي أنشأها هذا الأخير قبل فتح وهران الثاني سنة 1792م، حيث وسّع من مسجد جـامع السوق إذ زاد فيه صفين من الأمام، مما يوحي أن رواد المسجد الجامع قد تزايد وأن ثمة نشاطا علميا معرفيا كان وراء إقبال الناس[2].

إن تشييد المساجد بمدينة معسكر كان عملا فرديـا بالدرجة الأولى، حيث يتولى الأغنياء المحسنين قيادة عملية بناء المسجد والوقف عليه وصيانته، بالإضافة إلى المساهمة بالتبرعات ونحوها من طرف أعيان القرية أو الحي[3]، إذ كانت السلطات الحاكمة لا يتعدى دورها في هذا المجال دور الأفراد، فالسلطة الحاكمة كانت غير مسؤولة على بناء هذه المساجد، وإذا بنى أحد البايات مسجدا فإنما يبنيه من ماله الخاص، وهو ما حدث مع الباي محمد بن عثمان الكبير بمدينة معسكر، عند بنائه للجامع الأعظم في عام 1781م[4]، والمعروف عند سكان معسكر بجامع العين البيضاء أو جامع الباي محمد الكبير[5].

لقد لعبت المساجد أو الجوامع التي تعتبر إحدى المؤسسات العلمية بمدينـة معسكر، دورا هاما في بعث الحركة الثقافية في المنطقة، والقيـام برسـالتها

---

[1]– حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 318

[2]– ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهـدي البوعبدلي، ط1، مطبعة البعث الجزائر، 1973، ص 127

[3]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 243

[4]– ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 128

[5]– جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931– 1956، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2003، ص 23

الحضارية على أكمل وجه، بادر العثمانيون إلى حبس أوقاف كثيرة عليها لتسد عائدات هذه المساجد وجميع نفقاتها ووظائفها ولوازمها، كما قاموا بإنشاء بعض المرافق بالقرب منها وحبسوها على المدرسة والمسجد، ومثال ذلك عندما قام محمد الكبير بإنشاء حمام قرب المسجد الأعظم سمي بحمام الأدهم وحسبه على المسجد[1]، وهو المعروف عنـد سكان معسكر بحمام البركة الذي مازال قائما إلى اليوم[2]، وفي هذا الصدد يقول ابن سحنون الراشدي بالرائق بناءا وشكلا[3]، حيث اشترى له الباي حدائق ودورا وحوانيت، كما له فرنا وفندقا جديدا بالسوق القديم[4].

كما كانت المساجد تعتبر آنذاك إحدى المنشآت الخيرية والمؤسسات الدينية والتعليمية التربوية، والتي نالت محط إعجاب الكثير من الأدباء والمفكرين، إذ وصفها المؤرخ ابـن سحنون الراشدي في كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، على أنها من أهم المؤسسات التعليمية الزاهرة في المجال الأدبي والتاريخي والثقافي، بل وحتى الديني وأنها كانت مركز إشعاع حضاري في الحضارة العربية الإسلامية عامة، وفي الحضارة المغاربيـة خاصة[5]، وأنها تمتاز بجمالها ودقة بنائها والزخرفة والنقوش بالحروف العربية على جدرانها والعناية بالعيون والإضاءة والنظافة بها[6].

أن مدينة معسكر خلال العهد العثماني حفلت بنشاطات علمية وثقافية كبيرة تبلورت في مؤسساتها الثقافية، ولعل من بينها مساجدها، كما عرفت هاته المدينة أيضا ازدهارا اقتصاديا، بالنظر إلى الأموال المخصصة إلى الموظفين بتلك المساجد، حيث خصصت ربع

---

[1]– بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م –1797م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001–2002، ص 216.

[2]– المرجع نفسه، ص 216.

[3]– ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 128.

[4]– المصدر نفسه، ص 133.

[5]– المصدر نفسه، ص 128.

[6]– المصدر نفسه، ص 128.

الأوقاف للإنفاق عليها وصيانتها إلى جانب تشجيعه للعلماء والمؤرخين والفقهاء بها، من خلال منحهم المنح والهدايا التي تليق بمستواهم ومكانتهم الاجتماعية والعلمية في المجتمع المعسكري آنذاك[1]، كما أن عملية بناء المساجد لم تقتصر على معسكر فحسب، بل شملت بلدات أخرى مجاورة لهاته المدينة كالبرج والكرط[2] وغيرها من القرى المجاورة.

لم تكن المساجد وحدها في مدينة معسكر خلال العهد العثماني المساهم الفعّال في دور نشر العلم والثقافة الإسلامية، بل كان إلى جانبها مؤسسة ثقافية علمية أخرى، لا يجب أن نمر عليها مرور الكرام، لأنها هي الأخرى تعتبر مركزا لنشر العلم والمعرفة، حيث كانت الزوايا تقف إلى جانب المساجد تارة وتارة أخرى كمدارس مستقلة لتعليم المذاهب الصوفية، فشاركت بدورها في بثّ ونشر وتطوير العمل الجليل وهو تثقيف المجتمع المعسكري وتعليمه.

ثانيا: الزوايا

تميز الوجود العثماني في الجزائر، بانتشار الطرق الصوفية، لذا كثرت المباني المخصصة لها في المدن والأرياف على حد سواء[3]، ومن بين أبرز هذه المدن كانت مدينة معسكر نظرا لتميزها بمكانة هامة في الميدان الفكري لانتشار التعليم في هذا الإقليم بداية من القرن العاشر للهجرة (16م)، بتأسيس عدد كبير من الزوايا بها واحتضانها مهمة التعليم، كزاوية محمد بن يحيى السليماني، وزاوية عبد الله بن عبد الرزاق الإدريسي، وزاوية الشيخ محمد المشرفي الإدريسي شيخ الرماصي وغيرها من زوايا العلم والمعرفة[4]، وبالإضافة إلى تفوق علمائها في الفقه المالكي، كانت منبع علم التوحيد باعتراف علماء من بينهم الشيخ

---

[1]– مبروك مهيرس، المساجد العثمانية في وهران ومعسكر"، عرض وتقديم قويدر بشار، مجلة الدراسات التاريخية معهد التاريخ جامعة الجزائر العدد 01، 1986، ص 154

[2]– بلبروات عتو، المرجع السابق، ص 217

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16– 20م)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 262

[4]– الهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، د ت، ص 35

أحمد المقري[1] الذى قال في حاشيته على صغرى السنوسي، بأن سنده في علم التوحيد يتصل بعلماء زوايا الراشدية العارفين بهذا الشأن[2].

مما زاد من شهرة مدينة معسكر هو اكتظاظها وتزاحمها بعدد من الأولياء والعلماء والفقهاء، الذين كان لهم الفضل الكبير في إغناء تراث الحضارة العربية الإسلامية والمحافظة عليه في العهد العثماني بالجزائر من جهة، واهتمامهم بتأسيس الزوايا لتدريس وتعليم مختلف العلوم والفنون كالفقه والحديث التفسير، التوحيد، النحو، الصرف، المنطق، السيرة النبوية، البلاغة، الشعر، الخطابة، علوم القرآن التاريخ، الأذكار وعلم التصوف، وغيرها من العلوم الدينية والدنيوية[3]، ولهذا عرفت معسكر خلال الفترة العثمانية كثيرا من العلماء والصلحاء، وكثرت الرحلة إليها لطلب العلم والمعرفة، حيث برزت بها زوايا ومعاهد علمية ودينية كثيرة، من ضمنها الزاوية الراشدية والزاوية القادرية بالقيطنة بمعسكر[4]، إلى جانب زوايا أخرى من بينها زاوية الشيخ عبد القادر بن مختار الإدريسي، زاوية الشيخ الخضير الصنهاجي الإدريسي، زاوية الشيخ محمد الأعرج السليماني، زاوية الشيخ سحنون بن أحمد الحسني مدرس المدوّنة وزاوية حفيده الشيخ الهاشمي بن بوشنتوف، وكل هذه الزوايا كانت موجودة بمعسكر[5].

أنّ الزوايا بمدينة معسكر لم تحظ بالأهمية التي كانت لزوايا الريف المدينة نفسها، نظرا للأهمية الكبيرة التي كانت تمتاز بها زوايا الأرياف حيث كانت كل منطقة من ريف معسكر محروسة بولي من أولياء الله الصالحين، يتولى مهمة حمايتها من الغارات ومن

---

[1]– محمد أمين المحجبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت، ص302–311

[2]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 170

[3]– يجى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 131.

[4]– العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد 03، ماي 1980، ص63

[5]– يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا ....، ج 1، المرجع السابق، ص 132

نكبات الطبيعة، ومن طمع الطامعين العامة، بالإضافة إلى أن هذه الزوايا كانت محط الرحال لطلبة القرآن واللغة العربية والعلوم الإسلامية وملجأ الفقراء والمساكين، تأوي الغرباء والعجزة الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور من آيات القرآن الكريم، كما أنها كانت تطعم الجائعين وأبناء السبيل، وتقوم بتدريس الفقهيات والعقائد وقواعد النحو والصرف والبلاغة ومجموعة أخرى من العلوم الدينية والدنيوية[1].

كانت الدراسة ومناهج التعليم بزوايا مدينة معسكر تتم بطريقتين لسائر العلوم الدينية، الأولى تسمى "بالسرد" يقتصر التعليم فيها على تقرير المتن مفهوما ومنطوقا، وما يعرض لذلك من إزالة إشكال أو غموض، وفيها يطيلون الدروس بحيث يجعلون الدرس الأول من طلوع الشمس إلى الزوال، ثم من بعد صلاة الظهر إلى قبيل المغرب، وهذا حتى يتمكن الشيخ من إلقاء مختصر خليل في أربعين يوما وألفية ابن مالك في عشرة أيام، في حين الطريقة الثانية تسمى "بالأصل" لكون السرد فرعا منها، وفيها يفتحون الكتب المراد درسها أواخر الخريف أو أوائل الشتاء فيقللون الحصص ويطالعون عليها كثيرا من الشروح والحواشي وغيرها، وبهذه الطريقة منهم من يقرئ المختصر درسين في اليوم فيختمه في تلك السنة، ومن كان يقتصر على درس واحد في اليوم فيختمه في سنتين[2].

كما كان للزوايا التعليمية بالوطن بمعسكر نظام داخلي ألزم الطلبة بالخضوع له، كون أن التعليم في زوايا القرآن يهتم بالتربية أكثر فلا يتهاون في السلوك والأخلاق، فهما قاعدتان أساسيتان في تعليم زوايا القرآن. فالتربية الدينية تأتي في الدرجة الأولى ثم التربية الاجتماعية والسياسية بمفهومها الإسلامي الواسع، حيث كانت هناك عقوبات مالية للكبار وعقوبات بدنية للصغار، وعقوبة الطرد من الزاوية ويسمى "النفي" وهو لمرتكبي الكبائر من السرقة، القمار، أما العقوبات المالية فكانت مخصصة لبعض التجاوزات، كسب الدين وشتم الغير والغياب

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج 2، المرجع السابق، ص 262

[2]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق، ص 202

عن صلاة الجماعة، والغياب عن اجتماع الطلبة والغيبة والكذب وغيرها من التجاوزات التي دخلت في إطار المنظومة التعليمية للزوايا بمدينة معسكر[1].

وخلاصة القول كانت الزوايا بمعسكر تابعة للطرق الدينية الصوفية، حيث يترأسها الشيخ وكان عددها في البايلك الغربي عموما أكثر انتشارا من المناطق الأخرى، بسبب استمرار الجهاد والرباط، إضافة إلى قربها من المغرب الأقصى مقر الزوايا والمرابطين[2].

شكلت الزوايا بمعسكر مقر عبادة ودراسة كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة، إضافة إلى كونها ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم، فقد كان محي الدين مقدم الطريقة القادرية –زاوية القيطنة– يصف زاويته بأنها كمقام إبراهيم من دخله كان أمنا[3]، ولعل ذلك أثر على مفكري وعلماء الراشدية، بدليل كتاباتهم التي امتزجت بطابع تصوف ذلك العصر[4].

شهدت معسكر خلال العهد العثماني انتشارا للمساجد والزوايا التي تعتبر جانب من المؤسسات الثقافية والمعاهد العلمية، بالإضافة إلى ذلك توجد المدارس التي هي من أهم قلاع العلم والمعرفة.

ثالثا: المدارس

كان التعليم خلال العهد العثماني بالإيالة الجزائرية عموما والبايلك الغربي خصوصا يرتكز على مستويين، فحواهما ما يسمى بالمستوى الأول وهو ما يعادل الابتدائي، حيث كان يتم تلقينه عبر المدارس الصغيرة المعروفة بالكتاتيب[5]، أما المستوى الثاني فهو ما كان

---

[1]– الشيخ مصطفى السنوسي كتاب المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا ورجالاتها العلمية عبر العصور والأيام، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2002، ص 53

[2]– الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، 1993–1994، ص 267–268

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 271

[4]– مجموعة أساتذة "الحياة الروحية في الإسلام: معسكر رجال وتاريخ"، في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين ج1، معسكر، وزارة الشؤون الدينية خلال 26 أوت 01 سبتمبر 1987، ص 10.

[5]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... ج1، المرجع السابق، ص 277

على مستوى مدن الإيالة بما فيها مدينة معسكر، والذي اتسم فيه التعليم بطابع ديني وبمستوى ثانوي عالي غلبت عليه الحركة الدينية المنحصرة في الزوايا باعتبار أن التعليم في المدارس لم يكن يختلف عن التعليم بالزوايا[1].

وكما أشرنا سابقا إلى أن بعض الباحثين والمؤرخين يدخلون الزوايا والمساجد في عداد المدارس، أما البعض الآخر على عكس ذلك، حيث نجد أبو راس الناصر الذي زار مدينة الجزائر سنة 1214هـ/ 1799م يذكر وجود المدرسة القشاشية، حيث أشاد بها على أساس أنها مركز للتعليم الثانوي والعالي قوله: "تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه"[2]. ومن ذلك يتبين أن معسكر قد عرفت المدارس في تلك الفترة بأنها ليست المدرسة الزاوية أو المدرسة– المسجد، بل هي المدرسة المتخصصة للتعليم وحده أي دراسة العلم في مستواه الثانوي والعالي[3].

لقد كان في مدينة الجزائر مدارس كبيرة، وقد مثل لها بالمدرسة القشاشية كما كانت المدرسة المحمدية في معسكر، وفي هذا الصدد يقول أبو راس الناصر حديثا عن المدارس بقوله: "إنّ المدارس بالمعنى الذي قصده قد درسها الكفرة (أي الإسبان) وكفوا رسمها"[4]، وبالتالي لم يبق في بوهران لدراسة العلم سوى المساجد، باعتبارها قبلة للمثقفين من جهة ومنارة إشعاع علمي للطلبة والعلماء من جهة أخرى.

كانت العلوم والمعارف التي تدرس بالمدارس كثيرة ومتنوعة حيث كانت وظيفة المدرسة تحفيظ القرآن الكريم وشرحه، إلى جانب تفسير الحديث وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول، وبعض علوم اللغة والأدب كالنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي وقواعد

---

[1]– المرجع نفسه، ص 280.

[2]– أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ...، المصدر السابق، ص 90

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.... ج 1، المرجع السابق، ص 281

[4]– المرجع نفسه، ص 281

الإنشاء بغاية تعليم مبادئ القراءة والكتابة[1]، بالإضافة إلى بعض العلوم التجريبية والطبيعية، كالفلك والحساب والصيدلة الشعبية وغيرها من العلوم الدقيقة[2]، إلا أنها كانت قليلة بسبب اشتغال العلماء بالعلوم السابقة لما تميزت به مدينة معسكر من طغيان العلم الديني على العلم لطبيعي التجريبي بمؤسساتها الثقافية[3] لا سيما مدارسها والتي من أهمها نذكر:

- المدرسة المحمدية:

تنسب تسميتها إلى مؤسسها الباي محمد بن عثمان الكبير الذي بناها إلى جانب الجامع الأعظم، حيث ألحق هذا الباي بالجامع الأعظم بمعسكر مدرسة عليا تسمى المدرسة المحمدية نسبة إليه، وتبركا باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو مدرسة "الحايطة" كما وردت على اللوحة التذكارية للجامع الأعظم، اعتبرت المدرسة المحمدية من أهم المدارس التي أسسها هذا الباي بالغرب الجزائري، لما كان لها من صدى واسع في العالم العربي والإسلامي. حيث اعتبرت أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء متفرغين لمهمة التعليم لا غير، إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد[4].

- مدرسة القيطنة:

تعتبر مدرسة القيطنة من أهم المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ تأسست هذه المدرسة بمنطقة القيطنة[5] بالقرب من بوحنيفية حوالي سنة 1200هـ/1787م، على يد مصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر، وإذا كان قد ذكر في كتاب تحفة الزائر

---

[1]- لزغم فوزية الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 924-1245هـ/1518-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2005-2006، ص 32.

[2]- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص، 104-105

[3]- جاكر لحسن، المرجع السابق، ص 43، .44

[4]- صالح فركوس، "الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري"، الثقافة، العدد 71، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سبتمبر- أكتوبر 1982، ص 17.

[5]- حمدادو بن عمر، أبوراس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية 1155، 1238/ 1737- 1823م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 2002-2003، ص 67

أن تأسيس المدرسة يعود إلى سنة 1206هـ/1792م، أي في بداية القرن الثالث عشر الهجري (13هـ)، فإن الأمير عبد القادر يذكر في مذكراته التي كتبها في قصر أمبواز أن معهد القيطنة أسس في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (18م)[1]، ودليل ذلك أن سنة 1206هـ هي تاريخ تجديد المعهد وليس تاريخ بنـاءه، لأنّ البـاي بن عثمان الكبير الذي كان أحد تلامذة الشيخ مصطفى بن المختار اشتهر في تلك الفترة بتجديد وبناء المساجد لا غير، وبعد وفاة المصطفى بن المختار في عين الغزال بليبيا تسلّم أمور إدارتها الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر[2].

لقد تطوّرت المدرسة تطوّرا كبيرا وأصبحت تلقب بمعهد القيطنة نظرا لتوافد الطلبة والعلماء عليها، كما عرفت هذه المدرسة بأن تعلم بها من العلماء عبد القادر المشرفي، الذي كان يعد من كبار علماء عصره لدرجة أنه عُيّن مديرا بهذا المعهد العلمي[3].

[1]– يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 244

[2]– المرجع نفسه، ص 245.

[3]– حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص 44

الفصل الثاني:

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة معسكر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية

عرفت الجزائر خلال القرن 16م وبداية القرن 17 تحسنا في الأوضاع حيث كثر الإنتاج الفلاحي، وتعددت المصنوعات المحلية، ونشطت الحركة التجارية، وساعد هذا التطور الاقتصادي والازدهار العمراني، على قدوم أعداد كبيرة من أهالي ومهاجري الأندلس، استقروا في مدن الجزائر الساحلية، مثل وهران وأرزيو ومستغانم[1]، ثم هناك من استقر بها، وهناك من رحل إلى المدن الداخلية مثل تلمسان وقلعة بني راشد ومازونة، مما أدى إلى بروزها كمناطق إنتاج وفير من الخضر والفواكه، كما أصبحت هذه المدن تعج بالصناع والحرفيين الذين كانوا يزاولون مختلف المهن والصناعات في ورشاتهم ومشاغلهم[2].

أولا: الفلاحة

سيطر كبار ملاك الأراضي والمزارعين في ريف معسكر، وهم طبقة اجتماعية كبيرة تملك مساحات واسعة من الأراضي على شكل ممتلكات فردية أو عائلية تساعدهم في ذلك فئة الخماسين، والعمال الموسميين، وكانت مهمتهم محدودة، اقتصرت على عملية الحرث والحصاد وجني المحصول، كالحبوب والزيتون خاصة. وهذه الفئة الأخيرة كانت قليلة جدا خلال العهد العثماني، حيث تمت الاستعانة بالزنوج كعبيد خلال العمل الموسمي وبعد الإنهاء يعودون للعمل في المنازل والمزارع، خاصة لدى العائلات الثرية، إلا أن الملكية العقارية ساعدت على اندثار الطبقة العمالية، بينما في المدن كان كبار الأغنياء من التجار وفئة الحرفيين على مختلف مهنهم واختصاصتهم إضافة إلى الحمالين والدلالين وغيرهما، ويطغى على هؤلاء تسمية فئة الكادحين[3].

كانت فئة العثمانيين الفئة المحظوظة بمعسكر ثم تليها في الترتيب فئة قبائل المخزن التي تمتعت بامتيازات معتبرة لدى السلطة العثمانية، حيث كانت معفاة من الضرائب غير

---

[1] −Pierre Dan: Histoire de barbarie et de ses corsaires, T3, librairie Pierre Recolet, Paris 1637, p 297

[2]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص49

[3]– المرجع نفسه، ص 50.

الشرعية، وتطلق يدها في تأديب القبائل المتمردة عن طاعة السلطة العثمانية، مقابل منحها الأراضي الواسعة في سهل غريس والهبرة، وجباية الضرائب وتحصيل العشور على المحاصيل من جهة، والاستعانة بها عند الثورات الكبرى مثل ثورة الشريف الدرقاوي سنة 1806م[1].

اعتمد النظام الزراعي في مدينة معسكر خلال العهد العثماني على الملكية العائلية الجماعية للأرض، وعندما يتوفى كبير العائلة يرثه ابنه الأكبر، وتبقى الأمور سارية المفعول كالسابق؛ حيث يقوم بالإشراف على توزيع المساحات الزراعية على أفراد العائلة عند موسم الحرث، كما أن السلطة العثمانية قد خصصت بعض الأراضي الزراعية وجعلتها حكرا على الخماسين للعمل بها، مقابل مراقبتهم لتحركات قبائل المخزن فكانت تقوم بتأجير الأراضي الأخرى للفلاحين الذين لا يملكون الأراضي أصلا، أو الذين يرغبون في توسيع فلاحتهم، رغم امتلاكهم خاصة في المواسم الخصبة، وتمثل الزمالة والدوابر أساس قبائل المخزن للأراضي بنواحي مدينة معسكر، الذين كانوا يملكون معظم المنازل بها؛ فالذي يملك مدينة معسكر يتحكم في تموين قبائل المخزن في المنطقة[2].

أما عن الإنتاج الزراعي فإن إنتاج الحبوب اشتهرت به نواحي معسكر، خاصة سهل غريس الخصب، ووهران كما ارتبطت زراعة الأشجار المثمرة والبساتين بالفحوص المحيطة بالمدن الرئيسية مثل تلمسان ووهران ومعسكر ومليانة والبليدة والقليعة .. إلخ[3].

وقد ذكر النقيب أ. بيليسييه (E. Pelissier) أن مدينة معسكر محاطة بعدد كبير من الحدائق والحقول، الأمر الذي جعلها ذات إنتاج زراعي وفير ومتنوع. وقد حافظت معسكر على هذه المكانة، حتى عند احتلال الفرنسيين لها؛ حيث كان الجنود يدخلون إلى المنازل

---

[1]–M. Emerit: Les Tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIXe siècle, in, Annales. E.S.C, Numéro 1, Volume 21, Année 1966, pp 44-45

[2]–Ibid, P 49.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي بالجزائري أواخر العهد العثماني 1792–1830، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص32

فيجدون الحبوب والبقول، والتين المجفف، وزيت الزيتون بكميات كبيرة، والخضر المتنوعة، وقد مكثوا شهرا كاملا بها دون أن يحتاجوا إلى مؤونة في مجال الغذاء[1].

تميزت مدينة معسكر وضواحيها بكثرة الحقول والبساتين المحاطة بنبات الصبار على شكل حدود طبيعية تفصل بين الحدائق، وهي عديدة، وقد برع الأهالي في زراعة أشجار الفاكهة كالتين والزيتون والرمان واللوز والسفرجل، ناهيك عن أشجار مثمرة أخرى، ذكرا بشأنها "روزيه" وكاريت"، بأنها تتماشى ومناخ بلادهما في أوربا[2].

وقد وصف حد المشاركين في الحملة العسكرية على مدينة معسكر سنة 1835، الزراعة بأنها كانت تتميز بالتنظيم وسيطرة الحبوب على معظم مساحتها، إضافة إلى البساتين المحددة بنبات الصبار المنتشر بكثرة[3].

ثانيا: الثروة الحيوانية

كانت هناك تربية الخيول والاعتناء بها. وقد امتاز بذلك بايلك الغرب الذي كانت سلالة خيوله الأجود في كل الإيالة، حيث نجد أن قبائل معسكر كانت تستكثر منها، وذكر صاحب كتاب المرآة، أن الفلاحين بمنطقة معسكر، يشتغلون خاصة بمضاعفة أجناس الخيل المختلفة، وغيرها من الحيوانات الأخرى[4].

أما بالنسبة للأنعام الأخرى كالأغنام والأبقار والإبل وغيرها تتم تربيتها من طرف مختلف القبائل العربية والبربرية على السواء، وقد كانت عند سكان الأرياف مصدر رزقهم من جهة ووسائل نقلهم من جهة أخرى، لذا كثيرا ما لجأ الحكام إلى معاقبة القبائل الممتنعة عن تأدية الضرائب والغرامات، أو تأديب المتمردين عن السلطة العثمانية إلى تجريدهم من قطعان

---

[1] −E. Pélissier de Rynaud, Annales Algériennes, T 3, Librairie pour l'Art militaire, Paris, 1839, p 32-33.

[2] −Magie et religion dans l'Afrique du nord, Typographie Adolphe Jordan. Alger 1909 p 589

[3] −Flavien Bonnet Roy: Ferdinand Phillipe Duc d'orléans prince royale, Expédition de Mascara, Paris, 1947 .p 8

[4]− ناصر الدين سعيدوني : ورقات ، مرجع سابق ، ص389

المواشي ومصادرتها، كعقاب لهم على ذلك، ولتضييق عليهم سبل المعيشة، على شكل تأديب لهم، وإنذار لبقية القبائل الأخرى التي تفكر في إعلان حركة العصيان أو التمرد مستقبل[1].

وكانت أراضي الملك المعروفة بأراضي الخواص، والتي يمكن أن تنتقل إلى الأشخاص عن طريق البيع، أو تقسيم الإرث؛ منتشرة في بايلك الغرب ولا سيما في فحوص المدن، حيث كان يستغلها سكان المدن وموظفي البايلك، وهذا ما نجده، في معسكر[2].

اشتهرت معسكر كذلك بزراعة الأرز، الذي كان يزرع في سهل مينة، حيث كان يتراوح إنتاجه بين خمسة آلاف وستة آلاف قنطار، كما ذكر البعض أن قلعة بني راشد كانت تعد أغنى مناطق البلاد وأقاليمها كلها، لما توفرت عليه من موارد مهمة خاصة في المجال الزراعي.[3]

ثالثا: الحرف والمعادن:

كان بالقرب من مدينة معسكر عدة مناجم للحديد والرصاص، خاصة ذلك الذي كان يستعمل في الصيد والحروب، إضافة إلى ذلك، كان يتوفر بمعسكر معدن النحاس ومعدن الفضة بجبال تافشة وهذه المعادن كانت توجد بمناجم قريبة من السطح، الأمر الذي سهل عملية استغلالها، كما عرفت معسكر نشاطا صناعيا، شمل أغلب المهن والحرف التقليدية واليدوية، التي كانت معروفة في الأقطار الإسلامية والبلاد الأوروبية، مما يفند بشكل قاطع ادعاءات الكتابات الغربية وخاصة الفرنسية منها القائلة بأن الصناعة في الجزائر خلال الفترة العثمانية اقتصرت على بعض الصناعات التي تميزت بطريقتها البدائية وبساطة نوعيتها[4].

انتشرت في مدينة معسكر جملة من الصناعات المتنوعة كان من أبرزها:

---

[1] −R. Tinthoin, Colonisation et évolution des genres de vie dans la région Ouest d'Oran de 1830 à 1885, L. Fouque, Oran, 1947, pp 89-90

[2] −L. Addi, De L'Algérie pré-Coloniale à L'Algérie Coloniale., E.NL., Alger, 1985, p29

[3] −Arsen Berteil, l'Algérie Française, 3T, Librairie E. Dentu, Paris, 1856, T 1, p 153.

[4] −H. D-De Grammont. Correspondance des consuls d'Alger édition Adolphe Jourdan,= Alger 1890 p112

- صناعة الأسلحة:

اشتهرت بها المناطق القريبة من مدينة معسكر، كقلعة بني راشد، حيث كانت تتوفر على العديد من مصانع البارود والبنادق وغيرها وكابت لا تكفي حاجتها، باعتبارها دار جهاد وحرب في ظل وجود الخطر الإسباني المتواجد بمدينة وهران وكدليل على ذلك ما قام به الباي محمد بن عثمان من استيراد لكميات كبيرة من البارود من جبل طارق عندما هم بفتحها سنة 1791، مع العلم أن صناعة الأسلحة النارية بقلعة بني راشد قد احتكرتها العائلات الأندلسية والتركية منذ القرن السادس عشر الميلادي، خاصة صناعة البنادق[1].

-الصناعة التحويلية:

تمثلت هذه الصناعة في صهر الحديد والنحاس، وتحضير مواد البناء، وصناعة الأجر والجير، ومقالع الحجارة المستعملة في بناء الحصون والقلاع والأسوار، حيث انتعشت الحياة العمرانية بمدينة معسكر خلال فترة حكم الباي محمد بن عثمان وقد برعت مدن عدة ببايلك الغرب مثل مدينة تلمسان ومدينة ندرومة في صناعة الزليج الملون، والأواني الخزفية والأواني الفخارية[2].

- الصناعة الغذائية:

اشتهرت منطقة معسكر وضواحيها بوفرة الإنتاج الفلاحي خاصة الحبوب، والزيتون، إضافة إلى المحاصيل الأخرى مثل الزبيب، التين، السفرجل وغيرها، لذا كانت تتوفر على العديد من المطامير القريبة من المطاحن الهوائية، والمطاحن المائية الموجودة على ضفاف وادي، تدومان ووادي مينا، والخاصة بطحن القمح والشعير، لصناعة الخبز، كما كانت بساتين سهول عريس تنتج محصولا وفيرا من الزيتون، مما سمح بإقامة العديد من المعاصر لإنتاج زيت الزيتون بواسطة الرحى الحجرية أو الخشبية[3].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 123

[2]- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي: المرجع السابق ص64

[3]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق ص 64

- صناعة الصابون والجلود:

كانت منطقة قلعة بني راشد ومدينة معسكر تتوفر على حوالي 40 صانعا للصابون عشية الاحتلال الفرنسي، وقد جلبت هذه الصناعة العائلات الأندلسية على وجه الخصوص، كما كانت صناعة السروج والألجمة الخاصة بالخيول مزدهرة جدا باعتبار أن مدينة معسكر وبايلك الغرب عامة كان دار جهاد وحرب دائما، في ظل وجود الخطر الإسباني بمدينة وهران.

- صناعة الحلي والأحجار الكريمة:

احتكرت هذه الصناعة كل من طائفة الأندلسيين والكراغلة لمكن سيطرت عليها الجالية اليهودية في مدينة تلمسان خاصة باعتبارها كانت مقصدا لليهود الفارين من محاكم التفتيش بالأندلس وكانت صياغة الحلي الذهبية والأحجار الكريمة تتم في مدينة تلمسان، ويتم عرضها للبيع في مدينة معسكر عاصمة بايلك الغرب. وقد كانت هذه الصناعة مزدهرة نظرا لما تدره من أرباح كبيرة[1].

شهد النشاط الصناعي بمدينة معسكر نهاية القرن الثامن عشر الميلادي تراجعا كبيرا في الإنتاج، وتدنيا في النوعية، وعرف مختلف أصحاب الحرف والمهن كسادا وركودا كبيرين أثرا سلبا على أسعار البضائع والمنتوجات ويمكن إرجاع ذلك إلى عدة عوامل، لعل أبرزها، انتقال عاصمة البايلك من مدينة معسكر حيث كانت مركزا لمخلف الأنشطة الاقتصادية إلى مدينة وهران بالدرجة الأولى، بعد انسحاب الإسبان منها، زيادة على ذلك منافسة المصنوعات الأجنبية للصناعة المحلية حيث كان الحكام يقبلون على استيرادها من الخارج نظرا لمواصفاتها الجيدة من جودة وإتقان من جهة، وانخفاض أسعارها من جهة أخرى. لذا نلاحظ أن بايلك الغرب خاصة مدن معسكر وتلمسان قد تحولتا من مدن مزدهرة بمختلف الصناعات والحرف إلى أماكن لتخزين البضائع الأجنبية خاصة القادمة من مملكة فاس وجبل طارق، بعد تخفيض

[1]- نفسه، ص 107-106.

الرسوم الجمركية عليها من 12.5 إلى 05 في المائة، كما تم إعفاء بعض السفن الأوربية وخصوصا الفرنسية منها من دفع رسوم الرسو في الموانئ مرتين في السنة[1].

- الصناعات النسيجية:

اشتملت هذه الصناعة على الأغطية الحمراء، والمعاطف، والأقمشة العادية التي كان يستعملها الجيش والمحازم المتنوعة التي كانت تنسج نسجا متينا، وتنقل إلى كل أنحاء الإيالة. والشواشي الصوفية التي كانت تلون بصباغ القرمز المتوفر في معسكر، وتصدر إلى تونس ودول المشرق العربي. وكانت الصوف تستعمل في نسج السجاد، والبرانس السوداء المشهورة بأناقتها والبرانس البيضاء. وقد أرجع أحد الرحالة الألمان شهرة مدينة معسكر بالبرانيس السوداء، إلى وفرة الصوف السوداء في المنطقة[2].

وقد ورد في مخطوط قانون أسواق مدينة الجزائر، لصاحبه القاضي عبد الله محمد بن الحاج يوسف الشويحت، أن معسكر كانت مصدرا لمنتوج القرمز والبرانيس السوداء، وكانت تحملها القافلة القادمة من تلمسان مرورا بوهران ومعسكر ومازونة وملیانة فالجزائر.

أما الزرابي فقد عرفت كل منطقة بأسلوبها المميز، وكذا الأغطية الدقيقة النسج الجميلة الألوان مثل الحياك وغيرها. وعلى هذا الأساس ذكر: "أرسن برتاي" A. Berteil، أن صناعة الزرابي الفاخرة تعتبر حكرا على مدينة معسكر وقلعة بني راشد، وهي مطلوبة جدا من مدن وهران وتلمسان ومستغانم. إضافة إلى أسواق تونس وأوربا عبر فرنسا[3].

بالإضافة كذلك كانت مدينة معسكر تشتهر بصناعات أخرى مثل الحصائر، والزرابي، والبرانيس السوداء، والوسائد وبقيت محافظة عليها، إلى غاية عهد الأمير عبد القادر، حيث

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 95

[2]- مورتيس فاغنر، في أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، موك، الجزائر، 1989، ص142

[3]- عبد الله أحمد بن الحاج يوسف الشريحت، قانون الأسواق بمدينة الجزاء ومخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1378، ص66.

ذكر "ليون روش Leon Roche بأن تلك الصناعات لا تزال منتشرة بها بشكل واسع[1] وتشتهر منطقة معسكر، بصناعة البرانيس السوداء، الشهيرة ذات اللون الطبيعي والأقمشة، والتي تستعمل في كامل إيالة الجزائر، وتصدر إلى مصر وتركيا، ويباع البرنس الواحد من البرانيس المهفهفة بسعر يبلغ المائة فرنك[2].

- التجارة:

رغم أن مدينة معسكر تبعد عن ساحل البحر بإثني عشر مرحلة، وعن مدينة وهران بثمانية عشر مرحلة إلى الجنوب الشرقي، إلا أنها تتميز بأهمية تجارية كبيرة، فقد عرفت معسكر ازدهارا لتجارة الحبوب مع وصول الباي محمد بن عثمان على رأس السلطة في بايلك الغرب، وازدادت أهميتها، فزراعة الأراضي كانت تتم بتشجيع كبير من حكومة البايلك، ممثلة في باي معسكر، والذي أمر ببناء العديد من المحلات على ساحل مدينة أرزيو من أجل تخزين المحاصيل الفلاحية من الحبوب الموجهة للتصدير إلى إسبانيا وإنجلترا وفرنسا عبر ميناء مرسيليا، الذي كانت تتم منه أيضا عملية استيراد الزيوت[3].

كما ازدهرت بها الزراعة نتيجة لتشجيع الباي محمد الكبير، والذي بنى العديد من المخازن بميناء أرزيو والمرسى الكبير وعين عليه وكيلا، الذي كان يقوم بشراء القمح نقدا من بالعرب ويقوم ببيعه بعد أخذ إذن من الداي إلى السفن الإسبانية والفرنسية التي تأتي لشحنه، ويتكون أساسا من القمح الصلب والشعير، وهذه التجارة كانت تدر على كبار القادة في الدولة موارد مالية ضخمة، نتيجة تحكمهم في الأسعار[4].

---

[1] -Léon Roches, Dix ans à travers l'Islam 1834-1844, nouvelle Edition, préface et épilogue par E. Carraby, Librairie Acadimique Didier Paris, 1884, p 172

[2]- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 97

[3] -Paul Masson, Histoire des Etablissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque 1560-1793, Librairie Hachette, Paris, 1903, p 582

[4]- أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر ديسالان، وهو مأخوذ من كتاب المسالك والممالك الجزائر، 1911، ص 165.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية

شهد أغلب المدن الجزائرية خلال العهد العثماني العديد من الكوارث الطبيعية والآفات الاجتماعية التي أثرت على نمو سكانها، فكانت الزلازل والمجاعات والأوبئة تتسبب في تناقص النمو السكاني، لذلك فإن مدينة معسكر لم يعد يتجاوز عدد سكانها في الفترة الأخير من العهد العثمانية أكثر من 10 آلاف نسمة، كما أن هناك من ذهب إلى أن مدينة معسكر، كان عدد سكانها يتراوح بين أربعة آلاف إلى خمسة عشر ألف نسمة[1].

وتعد مدينة معسكر والقرى المحيطة بها موطن قبائل زناتة، ويقال أن تلك القبائل ارتحل معظمها إلى فكان التي كانت سوقا لهم، واستقروا بها بعد الفتح الإسلامي[2]. فخلال العهد الإسلامي تحولت معسكر إلى عاصمة طبيعية للعرب واستوطنتها قبائل بنو سويد العربية الأصل[3].

إن التركيبة السكانية لمدينة معسكر خلال الفترة الإسلامية، كانت تتشكل أساسا من الفئات الآتية:

1-بنو توجين: وهم بطن من بطون زناتة وهم السكان الأصليون للمدينة.

2-الحشم: وهم الذين استعان بهم ملوك بني زيان لإخضاع بني توجين الذين خرجوا عن طاعة تلمسان، وقد أسسوا إمارة مستقلة، عمرت أكثر من خمسين سنة، خلال القرن السابع الهجري واستوطن الحشم سهل غريس، كما ذكر ابن خلدون أن: "الحشم هم أساس القبائل، وقطب دائرتها، لا يضرهم من خالفهم، ولا يستقيم أمر لمن خالفهم، وكل قبيلة تحتاج إليهم، وهم لا يحتاجون إلى غيرهم." [4]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص 42.

[2]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، شونت، الجزائر، 1976، ص 816

[3]- ابن خلدون، كتاب العبر، مصدر سابق، ج7، ص 93

[4]- المصدر نفسه، ص 93.

بينما ذكر البعض أن سهل غريس الغني والخصب والشاسع، كان فعلا موطن قبيلة الحشم القوية، التي كانت تعد من قبائل المخزن الموالية للعثمانيين، وتمدهم بألفي فارس عند الحاجة[1]. وفي نفس الصدد يقول دوماس لاتري De Masai ردا على السيد "ليسبيناس" (Lespinasse) حول قبيلة الحشم فذكر أن قبيلة حشم معسكر ليست مجرد وصف لسهل غريس الخصب، والجميل المترامي الأطراف، بل هي عبارة عن تاريخ يحكي عراقة هذه القبيلة العربية الأصيلة التي سطرت اسمها، وفرضته بالقوة بين مختلف القبائل العربية وغيرها القاطنة بالمنطقة مثل بني عامر، وبني شقران، وبني سويد، وبني زروال، والتي استفادت من مساندة ودعم حكام تلمسان تارة، ومن مساندة ملوك المغرب في التصدي للعثمانيين تارة أخرى، لكنها أصبحت من قبائل المخزن عندما وصل الباي محمد بن عثمان الكبير إلى سد الحكم في معسكر، والذي عاملها بكل قوة وشدة، وأحيانا كان يستعمل أسلوب اللين معها. وذكرت بعض المصادر، أن قبيلة الحشم تعد من أقدم القبائل العربية في منطقة غريس بالقرب معسكر، تعداد أفرادها أكثر من 23768 نسمة، تعيش على مساحة تبلغ 18965 هكتارا.[2]

3-الكراغلة: وهم من نسل العثمانيين، من أمهات جزائريات، وكان عددهم قليل.

4-فئة العبيد: تم جلبهم من إفريقيا جنوب الصحراء، وبالخصوص من بلاد السودان الغربي (السنغال)، للعمل في الزراعة.

5-اليهود: وعددهم قليل وقدموا بالخصوص من الحواضر الجزائرية المتعددة، وجاؤوا بشكل خاص عقب سقوط الأندلس، واستقروا بالمدن الساحلية المغاربية، كوهران والجزائر وبجاية وبعض المدن الداخلية كقسنطينة وتلمسان والمدية إلخ[3].

---

[1] -Walsin Esterhazy, De la domination, op.cit ; p 169

[2]2 -M. ED. Laferriere: Répertoire alphabétique des tribus et douars -communes de l'Algérie- Impremerie Giralt, Alger, 1900, p 128

[3]- عدة بن داهة، مرجع سابق، ص 26

وكان البناء الاجتماعي لمدينة معسكر يتميز بالتنظيم العمراني والسكاني، وذلك بتقسيم المدينة إلى عدد من الأحياء والأسواق، وما إلى ذلك من المباني، وقصبات وقوات عسكرية وسياسية. ويكفي أن نتفحص مثلا مدينة معسكر لنلاحظ الترتيب بين المنازل والأحياء التي جمعت السكان حسب مجموعات في أماكن متعددة، تفصلها الأسوار، وحولها الحدائق والمياه. وكان يسكن بمعسكر عندما كانت عاصمة البايلك حوالي 5 آلاف نسمة[1].

وكانت معسكر ذات أهمية كبيرة وقد شاع بها الترف، ويتجلى ذلك من خلال هندسة منازلها، أنها مدينة أكثر تقدما من مدينة تلمسان[2] وبها مساكن ملائمة بكل المنطقة. وقد ارتفع عدد سكانها ليصل إلى 10 آلاف نسمة، ثم تراجع هذا العدد مع أواخر العهد العثماني إلى 6000 نسمة، بينما كانت أهم حواضر بايلك الغرب، لا يتعدى عدد سكانها 15000 نسمة، حيث كانت مدينة وهران بها 10000 نسمة ومستغانم بها 4000 نسمة، ومازونة بها 2600 نسمة ثم مدينة تلمسان بها 15000 نسمة[3]، وقد ذكر "وليم شالير" (William Shaler)، أن عدد سكان مدينة معسكر، كان في حدود ثلاثة آلاف نسمة، عندما كانت معسكر عاصمة للبايلك[4].

ويذكر حمدان بن عثمان خوجة أن مدينة معسكر كانت أكثر تقدما من مدينة تلمسان، ويقطنها الأتراك والعرب والبربر والكراغلة، وطبائعهم وعاداتهم كثيرة الشبه بأهل تلمسان[5].

عرف بايلك الغرب عدة فئات اجتماعية توزعت في مختلف عواصمه سواء معسكر أو تلمسان أو وهران بعد تحريرها من الأسبان 1792م، وباعتبار بايلك الغرب محال حضري

---

[1]– أ.ف. دنيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2000، ص 17.

[2]– حمدان بن عثمان خوجة، مصدر سابق، ص 97.

[3]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، مرجع سابق، ص 92.

[4]– وليام شالر، مذكرات وليام شالر، تعريب وتقديم وتحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 104.

[5]– حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 97.

وجغرافي له خصوصيته، فقد احتوى على مجموعة من الفئات السكانية متمايزة الوظائف لكنها تتقارب من حيث الترتيب الاجتماعي ومستوى الدخل وهي:

1-سكان المدن:

أ- **فئة الأتراك:** تمثل هذه الفئة الجهاز السياسي والعسكري والإداري[1]، ووصل عدد الأتراك ببايلك الغرب سنة 1798م إلى ألف وثلاثمائة (1300) نسمة، ومما لاشك فيه أن فئة الأتراك كانت تمثل قمة الهرم الاجتماعي[2].

مثل الأتراك أقلية في المجتمع واشتغلوا كجنود في الإنكشارية، وذلك وسبب يرجع إلى قلة عددهم نظرا لحالة العزوبة التي كانوا يعيشونها[3]، إلا أنهم احتكروا السلطة فمنهم الباشوات والوزراء والبايات ورؤساء البحر، كما كان منهم أعضاء الديوان[4].

ونظرا لقلة عدد أفراد هذه الطائفة وانعزالها عن باقي السكان فإنها لم تخل بالتركيب الإثنوغرافي، ولم تؤثر في البنية الاجتماعية لسكان المدن ولا في طريقة الحياة وأسلوب المعيشة[5]، وكان الدافع من هذه العزلة هو رغبة الجماعة التركية في إبقاء هيمنتها على المناصب الحكومية[6].

ب-فئة الكراغلة:

تحتل الكراغلة المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي تكونت نتيجة التزاوج الانكشاري بنساء الجزائر، كان عددهم لا يتجاوز ألف وأربعمائة (1400) نسمة، ورغم قلة هذه الفئة إلا أن مكانة أصحابها مهمة، فعملوا كموظفين في مناصب إدارية تكاثر عدد هذه الجماعة مع مر السنين بالمدن الكبرى حتى بلغوا في نهاية القرن الثامن عشر حوالي ستة ألاف (6000)

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 149

[2]- عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص 104

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 153

[4]- نفسه ص .105

[5]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 94.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 34

نسمة بمدينة تلمسان وأصبحوا أصحاب الرأي فيها[1]، وتكاثر عددهم أيضا في كل من معسكر و قلعة بني راشد مستغانم مازونة والمدية القليعة، وأصبحوا يشكلون شبه حكومة خاصة بهم ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر ولهم ديوان خاص بهم وصلاحيات معترف بها يسمح لها باستخلاص الضرائب في الجهات الجبلية كبني سنوس وبني رافاس وطرارة[2].

تمرد هؤلاء الكراغلة على السلطة التركية عدة مرات أدى بالسلطة إلى طردهم نحو المناطق الجبلية كتلمسان ومعسكر، ولما سيطر الفرنسيون على وهران أعلن كرا غلة بايلك الغرب ولائهم للغزاة ضد الأمير عبد القادر[3].

لا يقتصر وجود الكراغلة في المدن فقط، كما هو الحال بالنسبة للأتراك بل كانوا متواجدين في الأرياف، ولقد تشكل مخزن الزواتنة في قدم جبل فليته من هؤلاء، قدر عددهم حمدان خوجة وقتئذ بين ثمانية وعشرة آلاف 8 و (10000) نسمة[4].

على الرغم من حركات التمرد التي تزعمها الكراغلة على سلطة آبائهم الأتراك، إلا أنهم احتفظوا ببعض الامتيازات، مثل حق الانخراط في الإنكشارية وأهليتهم لتولي بعض المسؤوليات الهامة.

إن الكراغلة رغم تزايد قوتهم في أواخر العهد العثماني لم يعرفوا كيف يقومون بالدور المنتظر منهم والمعين لهم باعتبارهم طبقة وسطى تقرب الحاكم من المحكوم إذا اكتفوا بعد منافسة شديدة للعناصر التركية بالحصول على ترضيات، فلم يعودوا يطمحوا إلى ارتقاء المناصب بقدر ما أصبح هدفهم تنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم و تنشيط تجارتهم، وقد ذكر ابن مسلم ما يؤكد توتر العلاقة بين الكراغلة وبقية السكان عندما ذكر أن باي الغرب محمد بن محمد، ذهب إلى تلمسان عام 1220هـ / 1805م، وآخى بين العرب والكراغلة كما أوصاهم

---

[1]– نفسه، ص 43.

[2]– ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 94–95

[3]– صالح عباد، المرجع السابق، ص 358

[4]– صالح عباد، المرجع السابق، 358

ببعضهم البعض، وقد كانوا في ضيق البال وعدم القوت والمال، نظرا لسوء الأوضاع الاقتصادية وظهور المجاعات والأوبئة بالبايلك أواخر العهد العثماني، كما أن موقف الأمير عبد القادر من كراغلة تلمسان ووادي الزيتون يعكس لنا روح العداء والتخوف التي امتازت بها علاقة الكراغلة مع باقي السكان[1].

ج-الحضر:

تتشكل طبقة الحضر «البلدية» من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن، أو ما انضم إليهم من الطائفة الأندلسية، كانت لهم عادات وتقاليد خاصة، هذا ما جعلهم يتمتعون بوضع اجتماعي يميزهم عن بقية السكان في الريف، وكانوا يشتغلون بالحرف والتجارة والأعمال الإدارية[2].

اهتم أفراد هذه الطبقة بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن، وهذا ما جعلهم يشكلون برجوازية المدن الصغيرة التي عرفت بخضوعها للبايلك وقلة اهتمامها بأمور السياسة وشؤون الحكم، فرغم سيطرتهم على الحياة الاقتصادية في أغلب الأحيان إلا أنهم لم يطمحوا إلى ارتقاء المناصب السياسية[3]، وإن كان بعض أفرادها قد تولوا مناصب القضاء والإفتاء والكتابة، تنقسم طائفة الحضر إلى أربعة (04) مجموعات هي البلدية والبرانية والأندلسية ونجدها في أغلب المدن والحواضر الكبرى كوهران وتلمسان ومعسكر[4].

ولا يخفى أن هذه الفئة تواجدت في مدينة وهران قبل تحريرها من الإسبان، إلا أن لها خصوصية تختلف عن باقي حضر مدن الإيالة خاصة في عهد الباي محمد الكبير الذي جلب الحضر من مختلف مناطق البايلك، مستغانم وملیانة ومعسكر، كما اشتغل هؤلاء الحضر بصناعة الأسلحة والأحذية والخزف والبناء والزخرفة[5].

---

[1]- ناصر الدين سعيد وبي، الشيخ المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 97.

[2]- عبد القادر بلغيث: المرجع السابق، ص 107

[3]- ناصر الدين سعيد وني: النظام المالي للجزائر خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 45.

[4]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 94-95

[5]- عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص 107.

وعلى الرغم من الوضعية الحسنة التي كان يعيشها الحضر في المدينة والمكانة التي منحها إياهم الأتراك، إلا أنهم أبعدوا عن السلطة[1].

ج-جماعة الدخلاء:

-اليهود:

شكل اليهود العنصر الأهم بين الدخلاء، من حيث قدم وجودهم في البلاد ومن حيث دورهم الاقتصادي، حيث وصل عددهم بعد الفتح الثاني لمدينة وهران 1792م إلى حوالي ألفين وثمانمائة (2800) يهودي[2]، وقد استقر اليهود ببايلك الغرب في تلمسان ندرومة ومعسكر، مستغانم قبل الفتح الثاني لوهران، ويرجع تواجد الجالية اليهودية إلى أيام الباي محمد الكبير الذي باع لهذه الطائفة بعض الأراضي والأماكن، بدون وثائق إلى غاية سنة 1216 هـ / 1801م، واشتروا هذه الأراضي بسعر ثمانمائة وعشرين (820) سلطاني جزائري وشهد على هذا العقد المكي بن عيسى، ومحمد ابن حسن إلا أن ملكية اليهود للأراضي كانت محدودة ولم يسمح لهم بامتلاك الأراضي الفلاحية، هذا بسبب كون معظم اليهود يمارسون التجارة والعمل الحربي[3].

وقد طرأ على حياة الجالية اليهودية أواخر العهد العثماني تحول عميق، وذلك بعد حلول يهود ليفورن بالجزائر، وبعد زيادة اتصال يهود البلاد بتجار أوروبا، فأصبحت علاقتهم بباقي الفئات يميزها الحذر، وكانت علاقتهم مبنية على المصالح الخاصة للحصول على الثروة والنفوذ وهذا ما دفع بالأهالي إلى التشكيك في نشاطاتهم، فاعتبروهم أجانب عن البلاد، واتهموهم بالتواطؤ مع الأعداء، وأصبح من الشائع أن استيلاء الإسبان على وهران في المرة الأولى كان

---

[1]- صالح عباد، المرجع السابق، ص 359

[2]- عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص 113

[3]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 65.

على يد أحد اليهود لذلك قام بعض الأهالي بانتفاضات ضدهم وذلك للحد من نفوذهم، وتضخم ثرواتهم، وإحباط تواطؤ الحكام معهم[1].

الأسرى المسيحيون:

تمثل العنصر الثاني من الدخلاء بالبايلك جاءوا عن طريق القرصنة والحملات الأوروبية على الجزائر والحروب البرية التركية الإسبانية في البايلك، كان هؤلاء الأسرى ينتمون لبلدان مختلفة من أوروبا[2]، كان الأسرى المسيحيون التابعين للبايلك أو الذين يمتلكهم الخواص يكلفون بأعمال مختلفة مثل: العمل في الورشات لبناء السفن ومقالع الحجارة، ومنهم من يشتغل في البساتين، ويتقاضون مقابل ذلك أجورا، ويكاد لا يحد من حريتهم سوى قضاء الليل في سجون البايلك[3].

2-سكان الأرياف:

- المرابطون:

أطلق اسم المرابط على العائلات التي تباشر تدريس القرءان الكريم والإفتاء والإمامة، فلا شك أن ذلك هو الدور الأساسي للمرابطين الصالحين، ولاسيما في الأرياف والبوادي كما تمثل أيضا في مرافقة القوافل ومراقبة الأمن العام ووعظ الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم ونشر التعليم ومبادئ الدين وإصلاح ذات البين، كل ذلك كان من مهمات المرابطين"[4].

وقد نصح الأتراك بحسن التعامل مع المرابطين حتى يتمكنوا من السيطرة على البايلك، وظلت قائمة على المبدأ الذي حدده سيدي احمد بن يوسف سنة 1517 وذلك في قوله لعروج: " إن حكمكم لا يجري علينا ولا على نسلنا، إن رهبتم أحسنتم وان خالفتم عوقبتم"[5].

---

[1]- ناصر الدين سعيد وني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص 103.

[2]- صالح عباد: المرجع السابق، ص 360

[3]- ناصر الدين سعيد وني: ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 104

[4]- سعد الله أبو القاسم: المرجع السابق، ص .458

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، المرجع السابق، ص365.

اعتمد الأتراك على المرابطين في بايلك الغرب في إخضاع بعض القبائل وربط صلتهم القوية بهم، ومنهم سيد اليعقوبية سيدي بوبكر ولد سيدي الشيخ بن الدين صاحب النفوذ القوي على قبائل المنطقة، ونظرا لمكانته كان البايات والأغوات يحترمونه خصوصا وانه كان يكتفون زمانة بعدد قليل من الجنود لا يتجاوز المائة (100) حين يأتون لجمع الضريبة التي يحصلونها دون مشقة، وحين يذهب سيدي بوبكر إلى وهران يحظى باستقبال خاص حيث يبعث إليه الباي فرقة موسيقية وحصانا من حظيرته الخاصة، ومن الأمثلة أيضا لجوء الباي محمد الكبير إلى العلماء لحث الناس على الجهاد، ومنهم محمد بن علي بن الشارف المازوني الذي جاء من مازونة صحبة ولده وأخيه ومعهما مالتين (200) طالب[1].

في أواخر العهد التركي، وبعد طرد الإسبان من وهران والمرسى الكبير وتقهقر القرصنة، بدأت علاقة الأتراك بالمرابطين تهتز وأدى ذلك إلى قيام الثورات[2].

ومما سبق يتضح أن مجتمع بايلك الغرب عرف شرائح اجتماعية تمثلت في فئات سكانية لها مهامها وصلاحياتها، فالسكان بالمدن نجد فئة الأتراك، الكراغلة ويمثلون قمة الهرم الاجتماعي، في حين الحضر والدخلاء كانوا غالب ما يهتمون بالجانب التجاري والحربي، أما سكان الأرياف فيمثلون قاعدة الهرم الاجتماعي وهم: قبائل المخزن الرعية والممتنعة، إضافة إلى المرابطين، يقوم سكان الأرياف بتلبية مطالب الحكام وتزويد خزينة البايلك.

[1]– كمال بن صحراوي: المرجع السابق، ص 279.

[2]– صالح عباد: المرجع السابق، ص 365.

خاتمة

حاولنا من خلال دراستنا المتواضعة لموضوع أوضاع منطقة معسكر خلال العهد العثماني، وقد توصلنا إلى جملة من النتائج التي نلخصها في الآتي:

– تمثل دور مدينة معسكر السياسي على تقديم يد المساعدة والعون لمدينة الجزائر ضد الاعتداءات الإسبانية، بالإضافة إلى ترسيم الحدود السياسية الجزائر والمغرب الأقصى، حيث أجبر بايات معسكر سلاطين المغرب على التراجع إلى مدينة وجدة ورسم الحدود بينهما بين نهاية القرن السابع عشر الميلادي ومطلع القرن الثامن عشر، وبذلك وضعوا حدا فاصلا لتوسعاتهم شرقا على حساب بايلك الغرب.

– عرفت مدينة معسكر نهضة ثقافية واسعة خلال العهد العثماني، حيث أرسى علماء وفقهاء ومثقفو هذا الإقليم أسس الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، وقد قدموا جهودا وعطاءات فكرية وعلمية معتبرة ورفيعة المستوى، وثرية ومتنوعة كانت في مستوى تطلعات وطموحات الأجيال.

– وجدت بمنطقة معسكر مدارس ومعاهد كان لها الدور الريادي في مجال نشر الفكر والثقافة بمعسكر استقطبت حولها عددا كبيرا من طلبة العلم والمعرفة تمثلت أساسا في المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات.

– كانت مدينة معسكر خلال العهد العثماني منطقة جهاد وحرب، إلا انه شهد نهضة اقتصادية كبيرة، فتنوعت الحرف والمهن بالمدينة وقصدها العمال المهرة من كل الأقاليم ومن المدن المجاورة مثل مد ن مازونة، مستغانم، وهران، تلمسان وغيرها.

– كانت مدينة معسكر من أبرز الممونين لمدينة الجزائر بما تحتاجه من قمح وشعير وأرز وعسل وغيرها، كما ساهمت في إنتاج الأقمشة والمفروشات والأغطية، والبرانيس السوداء التي احتكرت صناعتها على مستوى بلاد الجزائر، إضافة إلى إنتاج نبات القرمز الذي يدخل في صباغة الشاشيات خاصة.

– عرفت منطقة معسكر مجموعة من الصناعات اليدوية البسيطة البرانس، الفخار، النسيج، مكنته من سد احتياجات السكان؛ أما الزراعة فكانت رعوية اعتمدت على تربية الحيوانات، واستعمال الأدوات التقليدية كالمنجل اليدوي والمحراث.

– عرفت منطقة معسكر تركيبة سكانية تمثلت في سكان المدن ممثلة في (أتراك، كراغلة، حضر، يهود، مسيحيين) تداخلت فيما بينها في الحكم أو التجارة إلى جانب سكان الأرياف ممثلة في (قبائل المخزن، قبائل الرعية، قبائل متحالفة، قبائل ممتنعة، المرابطين)

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة توضح منطقة معسكر خلال العهد العثماني[1].

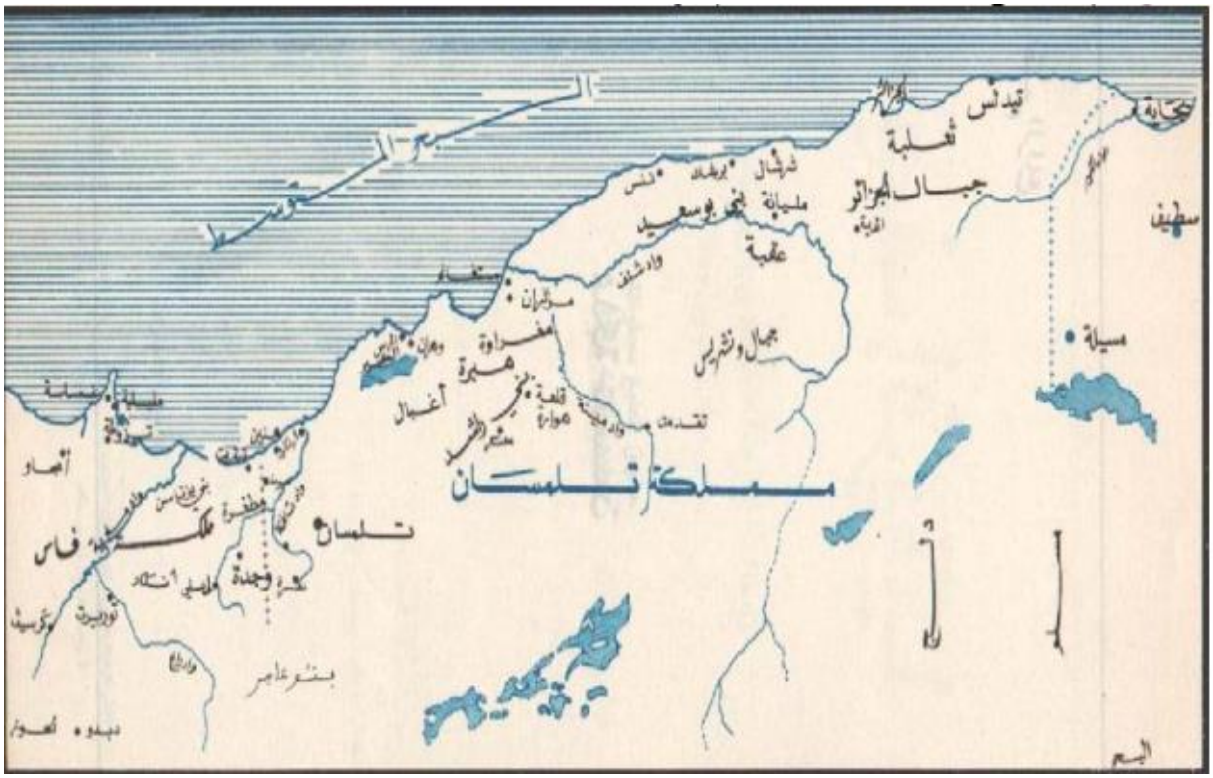

[1]– الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ص 06.

الملحق رقم 02: مسجد الباي محمد بن عثمان عبد الكبير بمنطقة معسكر[1].

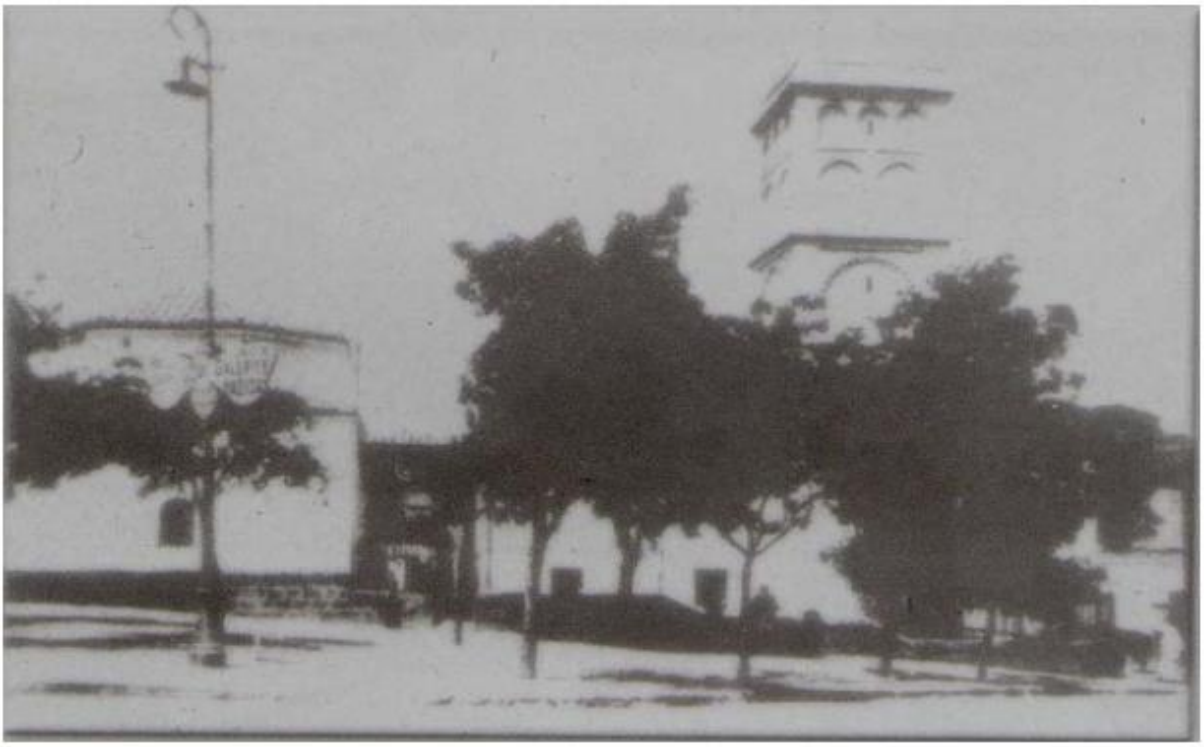

[1]– عدة بن هادة، معسكر عبر التاريخ.

الملحق رقم 03: دار الباي حسن بمدينة معسكر خلال العهد العثماني.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

– أ.ف. دنيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2000

– البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر ديسالان، وهو مأخوذ من كتاب المسالك والممالك الجزائر، 1911

– الراشدي ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، ط1، مطبعة البعث الجزائر، 1973

– السنوسي الشيخ مصطفى، كتاب المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا ورجالاتها العلمية عبر العصور والأيام، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2002

– الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ط2، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ج2

– خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975

– شالر وليام، مذكرات وليام شالر، تعريب وتقديم وتحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985

– كاربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1984

– ملستان هاينريش فون: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج2

ثانيا: المراجع

– الجامعي أبو زيد عبد الرحمن: فتح مدينة وهران، نشر مختار حساني، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003

– الشريحت عبد الله أحمد بن الحاج يوسف، قانون الأسواق بمدينة الجزاء ومخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 1378

– المحجبي محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت

– المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976

– الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، شونت، الجزائر، 1976

– الناصري أبو راس محمد: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990

– بن بكار الهاشمي، مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، د ت

– بن داهة عدة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، 2005

– بوعزيز يحي، وهران عبر التاريخ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1985

– بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995

– بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004

– جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931–1956، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2003

– حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن التاريخية، مدن الغرب، ط2، دار الحكمة، الجزائر، د ت، ج4

– دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس من نهاية المرابطين إلى مستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988

– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ج1، الشركة الوطنية للنشـر والتوزيع، الجزائر، 1981

– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

– سعيدوني ناصر الدين والبوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

– سعيدوني ناصر الدين: راسات وأبحاث في تاريخ الجزائر–العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

– سعيدوني ناصر الدين، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسـة الوطنيـة للكتاب، الجزائر، 1984

– سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي بالجزائري أواخر العهد العثماني 1792–1830، م.و.ك، الجزائر، 1985

– سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985

– فاغنر مورتيس، في أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830–1855، موك، الجزائر، 1989

– مجموعة أساتذة، "الحيـاة الروحية في الإسلام: معسكر رجال وتاريخ"، في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين ج1، معسكر، وزارة الشؤون الدينية خلال 26 أوت 01 سبتمبر 1987

– محمد سعاد ماهر، النسيج الإسلامي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة، 1988

– نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ج2 نشر كلية الآداب جامعة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة 1965

ثالثا: الرسائل الجامعية

– بلبروات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779م –1797م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001–2002

– تواتية بودالية، الصناعة والصناع في بلاد الأندلس عصري الإمارة والخلافة، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، الجزائر، 2007–2008

– حمدادو بن عمر، أبوراس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية 1155، 1238/ 1737–1823م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران، 2002–2003

– سحر عبد المجيد مناور المجالي، الجيش الأندلسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا في الجامعة، جامعة الأردن، 1995

– علي بن عيفاوي، مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2008–2009

– لزغم فوزية الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 924–1245هـ/1518–1830م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة وهران 2005–2006

رابعا: المجلات

– العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد 03، ماي 1980

– صالح فركوس، "الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري"، الثقافة، العـدد 71، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سبتمبر– أكتوبر 1982

– فاضل لخضر: مدينة بنيان عبر العصور القديمة، ملتقى مدينة معسكر المنطقة والرجال، 06 ماي 2005 مديرية الثقافة، معسكر

- مبروك مهيرس، المساجد العثمانية في وهران ومعسكر"، عرض وتقديم قويدر بشار، مجلة الدراسات التاريخية معهد التاريخ جامعة الجزائر العدد 01، 1986
- الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث جامعة الجزائر، 1993-1994

خامسا: المراجع الأجنبية.

- M. ED. Laferriere: Répertoire alphabétique des tribus et douars – communes de l'Algérie– Impremerie Giralt, Alger, 1900
- Arsen Berteil, l'Algérie Française, 3T, Librairie E. Dentu, Paris, 1856, T 1
- E. Pélissier de Rynaud, Annales Algériennes, T 3, Librairie pour l'Art militaire, Paris, 1839
- Ernest Mercier: Histoire de l'Afrique septentrionale, (BERBERIE), t3, librairie Ernest Leroux, Paris 1891
- Esterhazy Walsin, Notice historique sur le Maghzen D'oran, Typographie de Perrier, Oran 1849
- Flavien Bonnet Roy: Ferdinand Phillipe Duc d'orléans prince royale, Expédition de Mascara, Paris, 1947
- H. D–De Grammont. Correspondance des consuls d'Alger édition Adolphe Jourdan,= Alger 1890
- L. Addi, De L'Algérie pré–Coloniale à L'Algérie Coloniale., E.NL., Alger, 1985

- Léon Roches, Dix ans à travers l'Islam 1834-1844, nouvelle Edition, préface et épilogue par E. Carraby, Librairie Acadimique Didier Paris, 1884,
- Magie et religion dans l'Afrique du nord, Typographie Adolphe Jordan. Alger 1909
- Paul Masson, Histoire des Etablissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque 1560-1793, Librairie Hachette, Paris, 1903
- Pierre Dan: Histoire de barbarie et de ses corsaires, T3, librairie Pierre Recolet, Paris 1637
- R. Tinthoin, Colonisation et évolution des genres de vie dans la région Ouest d'Oran de 1830 à 1885, L. Fouque, Oran, 1947
- Sander Rang: Fondation de la Régence d'Alger, 2t, J. Angé Editeur, Paris, 1837
- Shaw (Thomas.): Voyage dans la Régence d'Alger, trad. De l'Anglais par Mac Carthy, Paris, 1830

الفهارس

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة أ

الفصل التمهيدي: مدخل جغرافي تاريخي لمدينة معسكر

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لمدينة معسكر 6

المبحث الثاني: أصل التسمية لمدينة معسكر 7

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والثقافية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الأوضاع السياسية 10

المبحث الثاني: الأوضاع الثقافية 14

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية 25

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية 33

الخاتمة 43

الملاحق 46

قائمة المصادر والمراجع 50

فهرس المحتويات 57

ملخص الدراسة

تم بحمد الله

ملخص الدراسة:

إن الباحث في تاريخ منطقة معسكر يجد أن لها مكانة هامة في تاريخ الجزائر خاصة أثناء الوجود العثماني، تكونت بفضل جملة من العوامل أهمها العامل الجغرافي وتوفرها على كامل شروط الحياة، إضافة إلى تواجدها بعيدة نوعا ما عن البحر، مما أبعد عنها الغزوات الأوربية التي تعرضت لها المدن الساحلية الأخرى كمدينة وهران، وهو ما جعلها ملاذا آمنا لعدد كبير من الفارين من الحملات الأوربية وحتى الأندلسيين، كما كانت معسكر خلال العهد العثماني مسرحا لوقائع اجتماعية وأحداث سياسية بارزة شكلت جزءا هاما من تاريخ بايلك الغرب أثناء التواجد العثماني، خاصة في ظل التواجد الإسباني بوهران، هذا ما أثر على معظم الأوضاع بمنطقة معسكر سواء في الجوانب السياسية والاقتصادية أو الثقافية وحتى الاجتماعية، لذا جاءت دراستنا الموسومة بـ"مدينة معسكر خلال العهد العثماني"، وقد قسمنا دراستنا إلى ثلاثة فصول: الفصل التمهيدي: مدخل جغرافي تاريخي لمدينة معسكر، أما الفصل الأول: الأوضاع السياسية والثقافية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني، وأخيرا الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمدينة معسكر خلال العهد العثماني، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

– سياسيا عملت على تقديم يد المساعدة والعون لمدينة الجزائر ضد الاعتداءات الإسبانية، بالإضافة إلى ترسيم الحدود السياسية الجزائر والمغرب الأقصى.

– ثقافيا: عرفت مدينة معسكر نهضة ثقافية واسعة خلال العهد العثماني، حيث أرسى علماء وفقهاء ومثقفو هذا الإقليم أسس الثقافة العربية الإسلامية، وقد قدموا جهودا وعطاءات فكرية وعلمية رفيعة المستوى.

– وجدت بمنطقة معسكر مدارس ومعاهد كان لها الدور الريادي في مجال نشر الفكر والثقافة بمعسكر استقطبت حولها عددا كبيرا من طلبة العلم والمعرفة تمثلت أساسا في المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات.

– اقتصاديا: مدينة معسكر خلال العهد العثماني كانت منطقة جهاد وحرب، إلا أنها شهدت نهضة اقتصادية من خلال تنوع الحرف والمهن حيث وقصدها العمال المهرة من كل الأقاليم ومن المدن المجاورة.

الكلمات المفتاحية: معسكر، العهد العثماني، إيالة الجزائر.

Study summary:

The scholar of the history of the camp area finds that it has an important place in Algeria's history, especially during the Ottoman presence. s rights ", formed by a number of factors, the most important of which are geographical and available on full terms of life, In addition to being somewhat out of the sea, far from the European invasions of other coastal cities such as Oran, This has made it a safe haven for a large number of fleeing European campaigns and even Andalusians. and a camp during the Ottoman era was the scene of social realities and high-profile political events that formed an important part of Bilk's western history during the Ottoman presence, Especially in the Spanish presence of Oran, this has affected most of the conditions in a camp area whether in the political, economic, cultural or even social aspects, so our study tagged as "Camp city during the Ottoman era", our study has been divided into three chapters: Introductory Chapter: Historical Geographic Entrance to Camp City, and Chapter I: The political and cultural conditions of the city of Kamal during the Ottoman era, and finally chapter II: During the Ottoman era, the economic and social conditions of the city of Kamal reached a number of results, the most important of which were:

- Politically, it assisted and assisted Algiers against Spanish aggression, as well as the demarcation of Algeria's political boundaries and Morocco Al-Aqsa.

-Culturally: The city of a large cultural renaissance camp was known during the Ottoman era, where scholars, scholars and intellectuals laid the foundations of the Territory's Arab-Islamic culture and made high-level intellectual and scientific efforts and bids.

-In the area of a school camp and institutes, which played a leading role in the dissemination of thought and culture in a camp around which a large number of students of science and knowledge were drawn, mainly from mosques, corners, schools and libraries.

-Economically: The city of a camp during the Ottoman era was an area of jihad and war, but it witnessed an economic renaissance through the diversity of crafts and occupations and was intended by skilled workers from all regions and neighbouring cities.

Keywords: Camp, Ottoman Era, Algeria